الوعي

جامعية ـ فكرية ـ ثقافية
www.al-waie.org

المعونات الأميركية وسيلة استعمارية ثمنها باهظ (١٦)
المرأة بين أعلى درجات الرفعة في الإسلام وبين أسفل دركات الرأسمالية والأنظمة الوضعية (٣٦)
دور الأحزاب السياسية في حياة الأمة (٤٦)

كلمة الوعي: العالم الإسلامي ينفجر في وجه أميركا بسبب الفيلم المسيء للإسلام

ليكن حجنا هذا العام حجاً على منهاج النبوة وليكن شعاره: «هذا آخر حج بدون إمام»

ص ٨٢

٣١٠
٣١١
السنة السابعة والعشرون ذو القعدة وذو الحجة ١٤٣٣هـ، تشرين الأول وتشرين الثاني ٢٠١٢م

مجلة الوعي تصدر كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان بترخيص رقم "١٦٦" صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥

الوعي

جامعية-فكرية-ثقافية
www.al-waie.org

محتويات العدد: ٣١٠-٣١١

السنة السابعة والعشرون - العدد
ذو القعدة وذو الحجة ١٤٣٣ هـ - تشرين ١و٢ ٢٠١٢م

- **كلمة الوعي: العالم الإسلامي ينفجر** في وجه أميركا بسبب الفيلم المسيء للإسلام.....٣
- **التحول السياسي في الجزائر** على ضوء المستجدات في المنطقة.....٩
- **المعونات الأميركية وسيلة استعمارية ثمنها باهظ**.....١٦
- **الإعلام ودوره في نهضة الأمة**.....٢٩
- **المرأة بين أعلى درجات الرفعة في الإسلام** وبين أسفل دركات الرأسمالية والأنظمة الوضعية.....٣٦
- **دور الأحزاب السياسية في حياة الأمة**.....٤٦
- **في مواجهة عودة الخلافة: نموذج الجزائر** (الوجه الجديد للاستعمار في دول التبعية).....٥٢
- **وجوب الحكم بما أنزل الله وحرمة موالاة الكافرين** وقفة تدبر مع آيات من سورة المائدة.....٥٨
- **تحديد مدة زمنية لمنصب الخلافة ليس من الإسلام**.....٦٤
- **الكل الشعوري**.....٧١
- **نص كلمة الأستاذ أبو الحسن الأنصاري** خلال ندوة «الإساءة لرسول الله»».....٧٤
- **أخبار المسلمين في العالم**.....٧٦
- **ليكن حجنا هذا العام حجاً على منهاج النبوة،** وليكن شعاره: «هذا آخر حج بدون إمام»».....٨٢
- **مع رحلة للحج زمن الخلافة العثمانية**.....٨٨
مع القرآن: وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم..٩٣
- **رياض الجنة: دعوته ﷺ للوليد بن المغيرة**.....٩٥
- **حدائق ذات بهجة: الأسود بن يزيد وصفوان بن سليم**.....٩٦
- **كلمة أخيرة:** نصيحة للبنديكتوس حول الإسلام والصراع الدائر في سوريا..... ٩٨

إلى السادة الكتاب:

- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في "الوعي" دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لا تقبل "الوعي" إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها وإلا فعلى الكاتب ذكر المصدر.
- لِ "الوعي" حق تصحيح المواضيع المرسلة، وهي غير ملزمة بإعادة المواضيع التي لم تقبل للنشر.
- نرجو ترقيم جميع الآيات القرآنية ووضع خط تحتها وتحت الأحاديث النبوية الواردة في المقالات وتخريجها.

ثمن النسخة:

لبنان	:	٢٠٠٠ ل.ل.
ألمانيا	:	٢ يورو
أميركا	:	٥ دولار أميركي
كندا	:	٥ دولار كندي
أستراليا	:	٥ دولار أسترالي
بريطانيا	:	٢ جنيه إسترليني
السويد	:	٣٠ كورون سويدي
الدانمرك	:	٣٠ كورون دانمركي
بلجيكا	:	٢ يورو
سويسرا	:	٤ فرنك سويسري
النمسا	:	٢ يورو
باكستان	:	٢ دولار أميركي
تركيا	:	٢ دولار أميركي
اليمن	:	٨٠ ريال

للمراسلة:
info@al-waie.org

لإرسال مواضيع للمجلة:
subjects@al-waie.org

بسم الله الرحمن الرحيم

العالم الإسلامي ينفجر في وجه أميركا بسبب الفيلم المسيء للإسلام

فيما يأمل زعماء تيار «الإسلام المعتدل» عدم تأثير ذلك على العلاقة مع أميركا!

تظاهر المسلمون في أنحاء مختلفة من العالم منددين بالولايات المتحدة بعد عرض الفيلم المسيء للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام المسمى «براءة المسلمين»،وخُصّت أميركا بالاحتجاجات على اعتبار أن الفيلم منتج فيها وبالتالي تتحمل مسؤولية السماح به والترويج له قبل أي طرف آخر. وقد بدأت التظاهرات في عواصم ومدن ما يسمى دول الربيع العربي، مصر وتونس وليبيا واليمن، ثم ما لبثت أن توسعت لتشمل أماكن تواجد المسلمين في الغرب والشرق.

وقد أدين هذا الفيلم عربياً وإسلامياً ودولياً، إلا أنه لوحظ كذلك التنديد بردة الفعل الغاضبة والعنيفة التي أظهرتها الجماهير المسلمة. تمثّل هذا التنديد بشكل صفق على لسان وزيرة الخارجية الأميركية هيلاري كلينتون بقولها "لقد انتقلت دول الربيع العربي من ديكتاتورية الفرد إلى ديكتاتورية الغوغاء" تبعها في ذلك زعماء التيار المصنَّف بـ"الإسلامي المعتدل"، إذ اعتبر الرئيس المصري محمد مرسي أن الفيلم المسيء للإسلام "يحول الانتباه عن المشاكل الحقيقية في الشرق الأوسط مُنددا في الوقت نفسه بأعمال العنف التي أثارها في المنطقة". فيما اتهم راشد الغنوشي زعيم حركة النهضة التي تقود الائتلاف الحكومي في تونس بعض المحتجين بأنهم "أشرار" استغلوا الاحتجاج على الفيلم المسيء للرسول وللإسلام، وأنهم لا يهدفون إلى الاحتجاج الديني والسياسي، وإنما اغتنموا الفرصة للحصول على منافع محرمة شرعاً. وحث "الشباب المسلم على أن يحفظ السفارات الأجنبية معتبراً أن الاعتداء على السفارة الأميركية هي إرادة سيئة وإرادة مجرمة ديناً وقانوناً وخلقاً".وذهب الغنوشي إلى حد القول بأن "الهجوم على السفارة الأميركية هو عدوان على تونس وعلى ثورتها وصورتها".

كذلك أعرب خيرت الشاطر (نائب المرشد العام للإخوان المسلمين في مصر) عن تعازيه للشعب الأميركي بمقتل سفيرها كريس ستيفنز والأميركيين الثلاثة الآخرين في الهجوم على القنصلية الأميركية في مدينة بنغازي الليبية، متمنياً "أن تكون العلاقات التي سعى الأميركيون والمصريون لبنائها خلال الشهرين الماضيين قادرة على تجاوز هذه الأحداث".

ولأهمية هذا الحدث وتداعياته، نتوقف معه ضمن مفاهيم أساسية تحكم

الموضوع، حتى تبقى المقاييس الصحيحة هي السائدة في زحام فوضى ردود الأفعال والأفعال المضادة والتنديدات والتنديدات المضادة.

أولاً: يُعدالفيلم المذكور اعتداء جديداً مقززاً على الإسلام والمسلمين على كافة المستويات، وقد اعتبره من شاهده (حتى من غير المسلمين) مسيئاً ومثيراً للتقيؤ والغثيان. لكن ما يثير في هذا الإطار هو أن الحدث المثار حالياً ليس أمراً عابراً، إذ إنه يأتي في سياق تكرار ممجوج لهذا النموذج البشع من الإساءات - بل وازدياد حدته ووقاحته وبذاءته في كل مرة. فهذا الاعتداء الآثم يأتي منسجماً مع جملة متلاحقة من المواقف والسياسات التي "أشبعت المسلمين إهانات ولطمات، فتارة رواية، وتارة ثانية رسوم كارتونية، وثالثة حرق كتابهم المقدس، ورابعة التبوّل على جثامين قتلاهم وشهدائهم، وخامسة احتلال أراضيهم، وسادسة دعم تهويد المسجد الأقصى، وسابعة الاعتراف بالقدس المحتلة عاصمة لدولة غاصبة محتلة فاجرة" إلى ما لا يمكن حصره من أحداث، تشترك جميعها في تحقيق مخطَّط خبيث واضح المعالم يتقصد تحطيم أمة الإسلام والنيل منها وجعلها رهينة لهيمنة الغرب ثقافياً واقتصادياً وسياسياً.

ثانياً: إن انفجار سُعار هذه الهجمة على المقدسات الإسلامية،جاء مترافقاً مع زيارة بابا الفاتيكان (البنديكتوس السادس عشر) إلى لبنان، رغم أن الفيلم نفسه قد تم إنتاجه منذ شهور طويلة، ومن المعروف أن البنديكتوس هذا تحديداً كان له سابقة في تقريع الإسلام والحط من قدره والتهجم عليه إبان ذروة الحملة العالمية المزعومة للقضاء على الإرهاب. وقد برر هجومه آنذاك بأنه مجرد حديث «أكاديمي» مستند إلى اقتباس من حديث تاريخي للإمبراطور مانويل باليولوغوس الثاني، إمبراطور الدولة البيزنطية الأرثوذكسية في القرن الرابع عشر. إلا أن هذا الادعاء الأكاديمي متهافت، وهو في حقيقته مجرد محاولة من البابا للاختباء وراء تصريحات غيره، وإلا فلماذا لم يقم بنقض ما نقله حينها من أقوال شنيعة، ولماذا يأتي بشواهد من ألد أعداء الإسلام والمسلمين تؤجج المشاعر العدوانية ضدهما! ومما نقله حينها على لسان الإمبراطور «أرني ما الجديد الذي جاء به محمد، وعندها لن تجد إلا ما هو شرير ولا إنساني» - ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾. إضافة لهذا فإن البنديكتوس قام بتعميد المرتد مجدي علام الصحافي الإيطالي الجنسية المصري الأصل المثير للجدل، والذي أشاد بـ(إسرائيل) وتهجم على الإسلام،وألف كتابين «تحيا إسرائيل» و«صهيوني مسلم». وقد منحته الحكومة (الإسرائيلية) جائزة «دان ديفيد» الصحفية وقيمتها مليون دولار.واللافت للنظر أن أحداً لم يطالب البابا

بالاعتذار عما بدر منه، بل وتسابق المرحبون به. بل لم نرَ حتى بياناً يشجب زيارته أو دعوة لمقاطعة زيارته. فيما كانت المظاهرات في لبنان نفسه كما في غيره تهوج وتموج ضد أميركا والفيلم المسيء المنتج فيها، ما يعني أن السياسة تلعب دوراً هاماً في تأجيج موجة الاحتجاجات باتجاه دون غيره، وأن المسألة ليست احتجاجاً على كل من يسيء إلى الإسلام أو إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وإلا كان يتوجب أن يكون البابا هدفاً أساسياً لتلك الاحتجاجات لما يمثله من منصب وثقل في العالم الغربي! مما يكشف أن الاحتجاجات التي انتشرت كالنار في الهشيم في العالم الإسلامي تم تجييرها في اتجاه دون غيره (النيل من أميركا) ضمن الصراع الدولي على المنطقة بين أميركا وبين أوروبا.

ثالثاً: عندما وقع أمر مشابه منذ سنوات بخصوص الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم من قبل صحفي دانمركي، كانت سياسات الدول العربية ودوائر فتواهم جاهزة للنيل من الدولة الدانمركية والدعوة لمقاطعتها ومقاطعة شركاتها، بعد أن حُمِّلت جريرة ما قام به ذاك الصحفي الأرعن. أما في الحالة الأميركية فقد سارعت الأنظمة العربية ومؤسسات الإفتاء والشخصيات المعتبرة إلى التفريق بين الدولة والشعب من جهة، وبين منتجي الفيلم والعاملين على ترويجه من جهة أخرى، وذهبوا إلى اعتباره عملاً فردياً لا يتحمل أحد مسؤولياته سوى القائمين المباشرين عليه.وهذا دليل على مستوى الضغط الأميركي لإيقاف الحملة الموجهة ضدها في العالم الإسلامي من خلال هذا الحدث.

رابعاً: إن اختباء الدول الغربية خلف ستارة حرية الرأي والتعبير اللتين يضمنهما القانون هي ذريعة سخيفة لا تنطلي على أحد، فكم عوقب مفكرون وباحثون لمجرد تشكيكهم بالمحرقة النازية ضد اليهود في المانيا إبان الحرب العالمية الثانية، من ذلك ما جرى مع الفيلسوف الفرنسي الشهير روجيه غارودي من عقوبة بالسجن لدحضه ادعاءات الصهاينة المبالغ بها بهذا الشأن، تلك المحرقة التي استندت إليها الدعاية الصهيونية - بعد أن فرضتها الدول الأوروبية كحقيقة مسلم بها - لإثارة موجة تعاطف في الغرب مع اليهود لاحتضانهم وإقامة كيان لهم على أرض فلسطين. فأين كانت حرية الرأي والتعبير آنذاك في محاكمة ومطاردة هؤلاء الباحثين والمفكرين؟وكذلك أين كانت تلك الحريات التي يتبجح بها هؤلاء عندما فرضت فرنسا مثلاً على المرأة المسلمة خلع زيها الشرعي في المؤسسات العلمية والتعليمية بحجة علمانية الدولة؟ وأين كان القانون عندما منعت الحكومة البريطانية القضاء من متابعة ملف الفساد في

صفقة اليمامة المرتبط برشاوى آل سعود وصفقات التسليح المشبوهة؟ ألم يتم نسف القضية برمتها وتجميد القانون بحجة حماية مصالح بريطانيا القومية؟!

يوضح ما سبق ذكره واقع الحدث والسياق الذي يجري فيه، مع التأكيد على أن الغضب لانتهاك حرمات الإسلام ومقدساته هو دليل عافية ودليل عِظم قيمة هذا الدين في نفوس المسلمين. إلا أنه يجب ملاحظة أن ردات فعل المسلمين ليست دائماً بنفس المستوى على الأحداث المشابهة، وتتأثر كثيراً بالتجييش أو التعتيم الإعلامي بهذا الاتجاه أو ذاك، وعلى هذه القضية أو تلك، فكثيراً ما تكون ردات الفعل تجاه حوادث معينة قوية وحازمة بل وعنيفة أحياناً فيما تمر حوادث أخرى مشابهة أو أشد سوءاً من غير أن تستثير أحداً! لهذا نرى لزاماً علينا أن نتوقف أمام مجموعة من الخلاصات التي تضيء الموضوع وتضبطه على النحو التالي:

أ- كان موقف قادة الأخوان في مصر وتونس مثيراً للذهول، فبدل أن يظهر هؤلاء غضبتهم لدينهم نحو هذه الإهانة البذيئة لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، ويضعوا (بوصفهم حكاماً) حدا للدول الغربية المجرمة التي تزيد جرأتها يوماً بعد آخر بحق أمة الإسلام ومقدساتها، تراهم يسارعون في استرضاء أميركا وتبرئتها من مسؤوليتها تجاه هذه الجريمة البشعة ويضعونها في رقبة أفراد فقط، فيما يصبون جام غضبهم على الاحتجاجات التي قام بها المسلمون أمام السفارات الأميركية والتنديد بعنفيتها وهمجيتها. وقد بلغت حالة استرضاء الغرب هذه درجة ألغى معها الاخوان في مصر قرار المشاركة في التظاهرة الشاجبة للفيلم المسيء بعد أن أعلنوا عزمهم المشاركة فيها، في محاولة واضحة لاسترضاء الأميركان الذين يخوضون فترة اختبار مع حكمهم في المنطقة. مما يظهر حرص الإخوان على عدم تعكير صفو العلاقات مع الأميركان كي لا يؤثر ذلك على فرص احتفاظهم بالسلطة!

ب- إن الاقتصار على التفاعل العاطفي والعشوائي مع الأحداث التي تمس مقدسات الإسلام أمر خطر من شأنه تسهيل تجيير الاحتجاجات المرتبطة بهذا الشأن لصالح من لديه أجندات مسبقة، سواء محلياً أو دولياً. وعليه كان لا بد من التمعن في حقيقة الصراع في العالم الإسلامي نفسه، وتحديد ما يجدي من تحركات، والسير بها بشكل يحول دون قطف ثمار هذه الأعمال من قبل خصوم الإسلام والمسلمين، وما أكثرهم!.

ج- إن الغضب لانتهاك حرمات الإسلام ومقدساته يوجب الانسجام مع ما جاء به هذا الدين العظيم من أحكام. فمثلاً كيف يسوِّغ البعض الاحتجاج

والتظاهر غضباً ونصرة للرسول صلى الله عليه وسلم، فيما تجده في الوقت نفسه يرفع رايات وشعارات تغضب الله ورسوله؟ وكيف يستقيم نداء البعض «لبيك يا رسول الله» و «إلاك يا رسول الله»، فيما تجدهم أعمدة للطواغيت؟ أو تجدهم مجافين أو خصوماً لتحكيم الشريعة، رغم أن الشرع أوضح بأن محبة الرسول تقتضي اتباعه ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ فضلاً على أن إجلال الرسول يقتضي أخذ أوامره ونواهيه استجابة لقوله تعالى﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾. ومما أتى به هذا الرسول العمل لإقامة الإسلام في واقع حياة الأمة من خلال تحكيم شرعه ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾، وتوحيدها في كيان جامع هو دولة الخلافة، ونبذ العصبية العرقية والقومية والوطنية، والمفاصلة مع كل الأفكار الجاهلية والوضعية من مثل الدولة المدنية الديمقراطية التي تقصي الإسلام عن الحياة والدولة والمجتمع.

د- المفروض أن الواقع السياسي للأمة قد تغير (سيما في بلدان "الربيع العربي")، بعد أن خلعت الشعوب حكاماً جبريين ونصبت حكاماً جدداً من خلال اختيارهم عبر صناديق الاقتراع، يفترض أنهم يمثلون توجهاتها ويحرصون على ضمان مصالحها، فيعادون من تعادي ويسالمون من تسالم! لهذا كان على الأمة التوجه بتلك الجموع الحاشدة إلى قصور الحكام لتحاسبهم على تقصيرهم في قلع سفارات الأعداء من بلادنا عوضاً عن الذهاب والتظاهر أمام تلك السفارات، كما كان الواجب على الأمة محاسبة حكامها الجدد على دورهم الفاضح والواضح في ترسيخ نفوذ دول تلك السفارات في بلادنا، بل ومحاسبتهم كذلك على اختصار الإسلام في شكليات وشعارات، فيما سياساتهم وممارساتهم هي نفس نهج النظم المخلوعة، سواء في استمرار التبعية للغرب أو تحكيم النظم الوضعية.

ه- إنّ هذه الأعمال وغيرها مما يقترفه الغرب بحق أمة الإسلام يشعر أننا ما زلنا دائرين في رحى الحروب الصليبية، تلك التي حاولت أوروبا من خلالها الهيمنة على مقدرات المسلمين من جهة، وترسيخ الكراهية والحقد تجاه إسلامهم من جهة أخرى للحيلولة دون انجراف الشعوب الأوروبية نحو الإسلام. تلك الشعوب الغارقة في عالم الماديات البائس مع غياب تصورات مقنعة لهم عن سبب وجودهم في الحياة، ما يسبب لهم حالة من الفراغ والشقاء المشبع بالإحباط والاكتئاب. لهذا كان الغرب عازماً وحازماً في خلق جدار بين شعوبه والإسلام كي يصدهم عن اعتناقهم له. وهو ما جاء صراحة على لسان جورج جاينزفاين السكرتير الخاص للبابا في مقابلة له مع مجلة سودويتشه تساينتوغ

الألمانية (٢٠٠٧م) بقوله: "لا يجب إغفال محاولات أسلمة الغرب وأن الاحترام القائم على تصور خاطئ يجب ألا يكون الدافع لتجاهل الخطر المرتبط بذلك على هوية أوروبا". كذلك قول ملكة الدانمرك الحالية (مارغريت الثانية) في مذكراتها عام ٢٠٠٥م "إنه من الضروري أخذ التحدي الذي يشكله الإسلام على محمل الجد، على الصعيد المحلي والعالمي .. تحد نحن مرغمون على أخذه على محمل الجد.. فيجب التصدي للإسلام، ويجب من حين لآخر أن نواجه مخاطر أن نوصف بأننا أقل مجاملة، لأن هناك بعض الأمور التي لا يمكن التسامح حيالها". كما كرمت المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل الرسام الدانماركي كيرت فيسترغارد صاحب الرسوم الكاريكاتيرية المسيئة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم بتسليمه جائزة حرية الصحافة في ختام ندوة دولية حول وسائل الإعلام في برلين، وقد اعتبر المسؤولون عن الجائزة أن "فيسترغارد حصل على جائزة التقدير لالتزامه الراسخ بحرية الصحافة والرأي وشجاعته في الدفاع عن القيم الديمقراطية على رغم التهديدات بأعمال العنف والموت التي يتعرض لها". كل هذا ومثله كثير يوضح أن العداء للإسلام والعمل على تأجيج الكراهية ضده هو سياسة رسمية وليست مجرد أحداث عابرة. وما التنطع والتشدق بحرية التعبير والإبداع إلا كذبة ممجوجة لتغطية المحاولات المتتابعة في ترسيخ الفجوة بين الإسلام والغربيين. وإلا لنتصور مثلاً مقارنة هذا التكريم لهذا وذاك من خصوم الإسلام، بردة فعل الغرب لو قام أحد من حكام المسلمين أو المؤسسات الرسمية بتكريم بعض من يروج لفكر تنظيم القاعدة ومنحه أوسمة التقدير، أي موقف للغرب كان ليكون آنذاك؟!

لذلك كله كان لا بد من التصدي لهذه الحملات المستهدفة للإسلام والمسلمين بكثير من الجد والوعي على أبعاد الصراع. أما إذا بقي الحال على ما هو عليه من ردود فعل عاطفية ارتجالية، فإنه يخشى أن تقضي شعوبنا حياتها تتظاهر أمام السفارات الأجنبية دون جدوى، فيما تتصارع دول الكفر عليها، وتجيرها لمصالحها. كما أن إساءات تلك الدول المباشرة وغير المباشرة للإسلام والمسلمين معنوياً ومادياً لم ولن تتوقف، وهي منهج متبع وليست سياسة طارئة أو استثنائية. وإن الثورات الحقيقية المنشودة هي تلك الثورات الجذرية والشاملة، التي تعيد للإسلام إشراقته من جديد، وللأمة سلطانها واستقلالها كأمة واحدة، وتعيد لها ثرواتها وكرامتها المهدورتين، وتضع حداً للنفوذ الغربي الاستعماري المتحكم بتفاصيل حياتنا، ولا يكون ذلك إلا بإقامة كيان الإسلام التنفيذي الشرعي ألا وهو: «دولة الخلافة الإسلامية». ❑

بسم الله الرحمن الرحيم

التحولُ السياسي في الجزائر
على ضوء المستجداتِ في المنطقة

صادق محيي الدين– الجزائر

عندما حدَّد في خطابه منذ أيام موعدَ الانتخابات التشريعية بالعاشر من شهر (أيار-مايو) المقبل (٢٠١٢م)، أعلن الرئيس الجزائري أن موعد الاستحقاق هذا سيكون مفصلياً في حياة "الأمة"، وأنه سيكون بمثابة وأهمية الأول من شهر (تشرين الثاني-نوفمبر) ١٩٥٤م (تاريخ انطلاق ثورة التحرير ضد المستعمِر الفرنسي)، في إشارةٍ إلى أن هذه الانتخابات ستسفر عن برلمان أو جمعية تأسيسية، تحمل على عاتقها وضعَ دستور جديد للبلاد يؤسس لجمهوريةٍ ثانية! جاء هذا الإعلان عقِبَ الفراغ من تعديل وتفصيل وإخراجِ كل من قانون الأحزاب والجمعيات والإعلام. وبناء على الدستور الجديد سيجري لاحقاً السباقُ في الانتخابات الرئاسية المقبلة في ٢٠١٤م.

مباشرة بعد ذلك شُرع في اعتماد التشكيلات السياسية (الأحزاب) بالعشرات، في غياب وحظر العمل السياسي على جبهة الإنقاذ المعروفة، وبدأت حمى الترشح من جميع الفئات لهذه الانتخابات التي على ما يبدو سيفوز فيها عدد معتبر من الأحرار ومن النساء، في انتظار موعد بدء الحملات الانتخابية في ١٥ من شهر (نيسان-أبريل) المقبل.

يجرى كل هذا بعدما كانت الحكومةُ قد باشرت سلسلةً طويلة من الزيادات في الأجور (في القطاع العام) خلال السنة الماضية وما قبلها، وما ترتب على ذلك من انهيار محسوس في قيمة العملة المحلية وهبوط للقدرة الشرائية، في ظل تدهور شديد تشهده البلاد على جميع الأصعدة، بينما تربض احتياطاتُ الجزائر من العملات المهمة في البنوك الأجنبية الغربية!

لا شك أن ما يحدث وما يهيَّأ من ترتيبات لهذه المرحلة يشير إلى أن الجزائر ستشهد جديداً في الربيع المقبل. نعم كل مجريات الأحداث تشير إلى أن البلد مقبل على لعبة سياسية ومسرحية جديدة، تُحقق للغرب مرادَه في هذا الجزء

من البلاد العربية، التي تشهد في مجملها هذه الأيام حراكاً سياسياً وتحولاً خطيراً. إلا أن هذه المسرحية سيكون اللاعبون فيها هذه المرة - وربحاً للوقت - من جهةٍ مَن يسميهم الغربُ "الإسلاميين المعتدلين" (الألعوبة) أو بعضهم على الأقل، أي حمس الممقوتة شعبياً وأخواتها فيما سمي بالقائمة الخضراء، إلى جانب الزوايا الصوفية، في تحالف سياسي خفي مع جماعة بوتفليقة وبلخادم أي جبهة التحرير الحالية ذات النفوذ الواسع في الأوساط المدنية والعسكرية على السواء، ومن الجهة الأخرى الأحزابُ والقوى السياسية المحسوبة على طغمة العسكر والاستخبارات، وعلى رأسها التجمع الوطني الديمقراطي المشؤوم الذي يتزعمه أويحيى، بالإضافة إلى الطرف الآخر من "الإسلاميين المعتدلين" (الألعوبة) أي حزب جاب الله (جبهة العدالة والتنمية) وحزب مناصرة (جبهة التغيير (الوطني)) المنشقة عن حمس، اللذين رفضا بشدة الانضمامَ إلى القائمة الخضراء المذكورة.

إلا أن تحالف حمس (وأخواتها) مع جبهة التحرير وتوابعها من الزوايا الصوفية ومن معهم من مختلف القوى والجمعيات والأحرار لا يظهر الآن، وإنما سيظهر جلياً عندما يحين موعد ظهوره، أي عند إتمام ما سمي «الإصلاحات» والتحضير لوضع الدستور الجديد ومن ثم بدء السباق العلني على كرسي الرئاسة مع بداية ٢٠١٤م، وسيتم اقتسام المناصب العليا أي رئاسة الجمهورية والحكومة والبرلمان بغرفتيه (والمواقع والمنافع) بحسب الاتفاقيات على غرار ما حدث مع النهضة التونسية وجماعة المرزوقي في البلد المجاور بناء على ما ستفرزه التشريعيات المقبلة أي البرلمان الجديد.

في خضم هذه المستجدات أعلن حسين آيت أحمد زعيم جبهة القوى الاشتراكية – بعد مشاورة قواعده على نطاق واسع على حد قوله – عن نية حزبه المشاركة في هذا الاستحقاق، وقال إن قرار المشاركة جاء لأسباب تكتيكية في مرحلة حساسة، وإن الحزب الذي يتزعمه لم ولن يتزحزح عن مبادئه قيد أنملة. إلا أننا نرجح أن وراء قرار المشاركة وخوض غمار الانتخابات البرلمانية هذه المرة ثلاثة أسباب:

أ- ضخ دماء جديدة في هياكل وقواعد الحزب (في منطقة القبائل خاصة)، وبث ديناميكية جديدة في طاقات الحزب التي ظلت على مدى فتراتٍ طويلة تنتظر فرصةَ المشاركة السياسية، إذ كانت قيادة الحزب في

كل مرة تنتهج سياسة المقاطعة للتعبير عن رفضها للنظام جملةً وتفصيلاً، علماً أن الزعيم التاريخي آيت أحمد كانت مواقفه معروفة غداة «استقلال» الجزائر، حيث كان يرفض رفضاً قاطعاً تولي العسكريين السلطة في البلاد، بدءًا بالانقلاب على شرعية الحكومة المؤقتة في ١٩٦٢م مروراً بعد ذلك بكل الاستحقاقات الشكلية التي كان يرتب نتائجَها العسكرُ والاستخبارات سلفاً من وراء ستار.

ب- يبدو أن جبهة القوى الاشتراكية تلقت هذه المرة إشاراتٍ واضحة عن رغبة المتنفذين في النظام الجزائري في الاستجابة السريعة لما تفرضه التحولات الكبيرةُ في الجوار الإقليمي والعربي بشكل عام، ضمن ما تخططه وتسعى لفرضه الدولُ الغربية الحاضرة دوماً من تصور لأي تحول في المنطقة، لتفادي زلزال قد يأتي على النظام ككل من قواعده. لذا أصبحت الفرصة الآن سانحة للحضور في الساحة السياسية في ظل أجواء تدفع باتجاه الديمقراطية والانفتاح ولو شكلياً أو مرحلياً.

ج- لا يبعد أن يكون بوتفليقة قد عقد صفقة مع آيت أحمد في العام الماضي في خضم الاتصالات بينهما على ضوء ما دار من نقاش بين الطرفين بوساطة الراحل عبد الحميد مهري، تُفضي إلى مشاركة جبهة القوى الاشتراكية بما يضمن لها نصيباً من كعكة البرلمان يتقوى به بوتفليقة في مواجهة خصومه السياسيين، طالما يسعيان معاً إلى تقليص نفوذ جنرالات المؤسسة العسكرية في أجهزة الدولة (كما تمكن الرئيسُ من قبلُ أن يجذب إليه أنصارَ لويزة حنون (حزب العمال) بإلقامهم وظائف وتمكينهم من بعض المواقع). علماً أن آيت أحمد - كما أسلفنا - كان مطلبه منذ ١٩٦٢م يتمثل بشكل مبدئي في إزاحة العسكر وتحقيق الحكم المدني، وها هي في تقديره قد جاءت الفرصة لتحقيق ولو خطوة في هذا السبيل. وهذا ما دفع زعيم الجبهة إلى تغيير الأمانة العامة والإتيان بـ علي عسكري الأمين العام الأول للجبهة (الأكثر ليونة من كريم طابو الأمين العام السابق) ليتولى تهيئة الأرضية لخوض غمار التشريعيات بموقف جديد سعى الأمين العام الجديد لاستخلاصه عبر استشارات مناضليه ثم تبريره بما يتفق مع ما تمليه توجيهاتُ الزعيم من سويسرا على ضوء مستجدات المرحلة. ليس صدفةً أن يُثار في اللحظة المناسبة - أي في غمرة تهيئة الأجواء للتحولات المرتقبة في الجزائر (ومن هذه التهيئة الاتصالاتُ والمداولاتُ التي

أجراها الرئيس بوتفليقة مع آيت أحمد) على ضوء ما تشهده البلاد العربية من حراك سياسي – ليس صدفةً أن يثار موضوعُ علاقة الجيش بالسياسة في الجزائر منذ «الاستقلال». ففي هذا السياق جاءت الندوة السياسية التي نوقشت خلالها «إشكالية الأولوية بين السياسي والعسكري في الجزائر» يوم ٢٠١١/٠٦/٢٤م، أي قبل عدة أشهر من الآن، بالجزائر العاصمة، وحضرها كل من عبد الحميد مهري (الذي كان كما هو معلوم ضمن الوفد المشرف على العلاقات الخارجية لجبهة التحرير الوطني في القاهرة إبان الثورة التحريرية وعضو المجلس الوطني للثورة الجزائرية، ثم الأمين العام الأسبق لجبهة التحرير قبل انقلاب١٩٩٢م) والخبير البريطاني هيوغ روبرتس مدير مكتب شمال أفريقيا لدى مجموعة الأزمات الدولية والمتخصص في النظام السياسي الجزائري في ما قبل الثورة الجزائرية وما بعدها.

ولا يخفى على المتتبع أن كل الأطراف الفاعلة حقيقةً في هذه المعادلة تحركها جهاتٌ دولية. فما يقوم به الرئيس بوتفليقة هو وجماعته إنما هو من توجيه وتدبير الإنجليز ومن ألاعيبهم، كما فعلوا ومازالوا يفعلون في ليبيا وتونس واليمن لاحتواء الثورات أو إذكاء الانتفاضات الشعبية مستعملين قطر والإمارات والسعودية وغيرها، ومستخدمين وسائل وأساليب خفية خبيثة، وأخرى علنية ليس أقلها الإعلام عبر القنوات الفضائية ذات الوزن الثقيل، والمال والعملاء من السياسيين والأمنيين و**العلماء المأجورين** ووسائل أخرى.

أما ما يقوم به أحمد أويحي (رئيس الحكومة الحالي) ومن في زمرته ومن هو محسوب على هذا الجناح الثاني في السلطة فإنه من تدبير فرنسا وجنرالاتها في الجيش والمخابرات العسكرية الذين غرستهم بقوة في منظومة الحكم منذ الأيام الأولى للجزائر «المستقلة».

أما أميركا فإنها تعتمد في الجزائر على براغماتيتها في تحقيق المصالح والنفوذ، عن طريق الخبراء وعن طريق الصفقات وعقود شركات النفط العملاقة، وعن طريق القروض والاستثمار، كما تستخدم ورقة القاعدة والتعاون الأمني ومكافحة الإرهاب في منطقة الساحل الأفريقي، مع السعي الحثيث لإيجاد العملاء من ذوي الكفاءات في الأوساط الاقتصادية والأوساط الثقافية والسياسية.

لذا يمكن رؤية المشهد السياسي الحالي في الجزائر على النحو التالي:

يعمد «الأخ المجاهد؟» عبد العزيز بوتفليقة العميل الإنجليزي العلماني المعروف بالولاء للبريطانيين من أيام الرئيس الراحل بومدين إبان ثورة التحرير الجزائرية، هو وجماعته من أمثال بلخادم (الوطني-القومي العربي-الإسلامي-الصوفي)، إلى تهيئة الأوضاع والأجواء من أجل عقد تحالفاتٍ مع من يسميهم الغربُ «الإسلاميين المعتدلين» الذين يفتقدون ويفتقرون إلى المبدئية في السير والتصور معاً، وذلك بطبيعة نشأتهم ونشأة حركاتهم على كثرتها واختلاف أسمائها، ويتَّسِمون بالواقعية المميتة التي أردتهم في كل مرة في أحضان أعداء الأمة، وها هم اليومَ يُسوِّقون للعدو الكافر المستعمر إسلاماً ليبرالياً يرضاه ويباركه الغربُ كمرحلة يسعى من خلالها لقطع الطريق على التغيير الجذري الذي تتطلع إليه الأمةُ من خلال هذا الحراك الذي تشهده في معظم الأقطار، وهم في غيِّهم ماضون!.. حتى إذا ما تحصل هذا الفريق على الأغلبية (المطلوبة والمحسوبة بدقة) من جميع القوى الموالية (بما فيها الأحرار) في البرلمان المقبل ذي الصبغة التأسيسية (كما أكد الرئيس مهددًا في خطابه بالتدخل الأجنبي في حالة العزوف عن الانتخاب)، أمكنهم تحضيرُ الأرضية لتقديم ما يناسبهم في ديباجة الدستور الجديد وتمريره حينئذ عبر الشرعية البرلمانية وممثلي الشعب، وخاصة في مواده المتعلقة بنظام الحكم، ومن ثم الفوز برئاسة الحكومة (الوزراء) و البرلمان (بمجلسيه الأمة والنواب) وبرئاسة الجمهورية لاحقاً، وإيهام الشعب بأن البلد يشهد تغييراً حقيقياً، وأنه يدخل مرحلةً جديدةً من التحول والانفتاح والتنمية والبناء المؤسساتي، في كنف الحرية والديمقراطية والسير إلى الأمام! مع الإسلاميين في مواجهة الحكومة!

وفي هذا السياق لا بد من الإشارة إلى أن تجربة مجيء هؤلاء المعتدلين لإنقاذ النظام في الجزائر من السقوط والمحافظة على الجمهورية، ليست هي الأولى، فقد سبق وأن وقفوا في ١٩٩٢م في صف الطغمة العسكرية التي انقلبت على نتائج الصناديق، وها هم اليوم يَقبلون هذا الدور الخبيث المسند إليهم في هذا التحول المزعوم. كما أن تهيئتهم لهذا الدور بالنظر إلى تسمية تشكيلاتهم السياسية (مزيج من التنمية والعدالة والحرية... في الأسماء) تكشف عن نية الدوائر الغربية والحكام العملاء الذين لم يذهبوا بعد، وتفادياً لغضبة الشعب، وضعَهم في مواجهة

معضلات البلدان الثائرة (المعضلات الاقتصادية بوجه خاص)، مثل تقليص البطالة والنهوض بالصناعة والزراعة، والقضاء على الفساد وبيروقراطية الإدارة، وتحقيق النمو والتنمية الشاملة وغير ذلك، بوصفهم «إسلاميين» وصلوا إلى الحكم عن طريق الصناديق والانتخاب!!! كما تُنبئ بالإضافة إلى ذلك عن سابق تدبير وتخطيط لجعلهم أمام مشكلاتٍ اجتماعيةٍ عويصة ٍ لا تحصى، وأخرى ثقافية وسياسية في المجال الإعلامي وفي القضاء وفي التعليم وفي علاقة المسلمين بغير المسلمين وفي قضايا المرأة وغير ذلك... **مما يستحيل معالجته إلا بتطبيق الشريعة الإسلامية كاملةً وإنهاء النظم القديمة بشكل كامل** ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ وهو الأمر الذي ما جيء بهؤلاء في واجهة الحكومات إلا لاستبعاده، وإثبات عدم إمكانيته وواقعيته.

والحقيقة المرة هي أن أقصى ما سوف يحققه هؤلاء في نهاية نفق هذه اللعبة، هو خيبة أمل جديدة وعزوف الناس وشعوب المنطقة عن السياسة والعمل السياسي إلى حين، وهو ما يسعى إليه الغرب ويشتريه مقابل أي ثمن! **لأن خلافه يعني التغيير الجذري المرتقب بقيام دولة الإسلام — الخلافة — التي تحقق للأمة مبتغاها وتُنهي هيمنةَ الغرب على البلاد الإسلامية بشكل تام.**

وبناء على هذه المعطيات والمستجدات، وبعدما بدأت تظهر ملامحُ اللعبة السياسية في المرحلة المقبلة وتتضح الرؤية لدى مختلف القوى السياسية، جن جنون بعض من يسمون «ديمقراطيين» وبدؤوا يتوجسون من المرحلة القادمة، بل ويصيحون: «إن الجمهورية في خطر! أين الديمقراطيون؟ أين الجمهوريون الذين أنقذوا الجزائر من الإرهاب في الأيام العصيبة؟»، كما أيقنوا أن حظهم من التشريعيات المقبلة - بهذه المعطيات التي ذكرنا – قليل أو شبه معدوم. ومن هؤلاء حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية الذي سارع أصحابه إلى الإعلان عن المقاطعة، كما يُتوقع أن تشهد الأيام المقبلة مواقفَ مماثلة ممن هم مثلهم. أما بقية الأحزاب المجهرية الكثيرة فإنها ما وُجدت واعتُمدت إلا لتكون فسيفساء وأزهار للزينة (أي للديكور).

أما العسكر والاستخبارات فإن «الربيع العربي» بالنسبة لهم قد جاء في غير موعده، وما عليهم سوى الزج بالقوى السياسية (و النقابات والجمعيات) الموالية لهم أو المحسوبة عليهم، مثل التجمع الوطني الديمقراطي أو الجبهة

الوطنية الجزائرية (جبهة موسى تواتي) أو من «الإسلاميين المعتدلين» الموالين لهم من مثل جبهة العدالة والتنمية (حزب جاب الله) وجبهة التغيير وأحزاب أخرى صغيرة، ومن الشخصيات المستقلة (الأحرار)، ما عليهم سوى الزج بهم في المعترك السياسي من أجل المحافظة على مواقعهم ونفوذهم في كل الأجهزة بما فيها الهيئة التشريعية الجديدة (البرلمان القادم)، وتقاسم السلطة - إن لزمَ - دون خروج الجزائر من التبعية الأوروبية والخضوع لإملاءات المستعمر الأوروبي. إلا أنه ليس من السهل التنبؤ بما يمكن أن يُقدم عليه جنرالاتُ فرنسا لتعزيز مواقعهم في الأيام المقبلة عندما يقترب موعدُ الرئاسيات، خصوصاً وأن موجة التغيير التي تجتاح البلاد العربية والمستجدات في المنطقة تدفع بقوة باتجاه تقليص وتحديد نفوذ العسكريين ومؤسسة الجيش ولو في الظاهر والشكل.

وفي جميع الأحوال فإن الصراع بين طرفي المعادلة السياسية في الجزائر لن يسفر في النهاية، سواء فيما يتعلق بنتائج الانتخابات البرلمانية في العاشر من شهر (أيار-مايو) من ٢٠١٢م أو الرئاسية فيما بعد في ٢٠١٤م، إلا عن توافق جديد في المدى المنظور بين القوى المتصارعة، يمدد من عمر النظام ولو إلى حين. إلا أن الذي بات محل اهتمام الملاحظين منذ الآن ويخيم على المشهد السياسي برمته هو شبح المقاطعة التي لا تخدم أياً من الطرفين المتصارعين - رغم محاولة مغازلة قواعد جبهة الإنقاذ المحظورة من طرف «الإسلاميين»من كلا الجهتين - بالإضافة إلى ما يسعى إليه قادةُ هذا الحزب الممنوع من العمل السياسي من حشد الأنصار والخروج للشارع والتجمع في ١٢ من الشهر نفسه في العاصمة كما جاء في بياناتهم مؤخراً، أي مباشرةً بعد خوض الانتخابات وظهور نتائجها الأولية، هذا إن لم يطرأ جديد على مواقفهم. إلا أنه من المستبعد أن تحدث المقاطعةُ بالشكل الذي يُحدث المفاجأة، خصوصاً وأن النظام في الجزائر دأب على مدى سنوات - بل عقود - على ربط شرائح واسعة من الناس من جميع الفئات مصلحياً معه، وضبطهم في حركة دولابه في كافة شؤونهم، في الوقت التي تشير معظم مكاتب الدراسات التي عنى بالتحولات في البلاد العربية وفي الجزائر خاصة، أن نسبة المهتمين بالسياسة وبالشأن العام في هذا البلد لا تتجاوز ٣ في المائة في أحسن الأحوال، وهي النسبة الأقل بين جميع الدول العربية!!❑

بسم الله الرحمن الرحيم

المعونات الأميركية وسيلة استعمارية ثمنها باهظ

م. موسى عبد الشكور – الخليل

لقد أبقت أميركا عيناها مفتوحتين على الثورات الدائرة في بلاد المسلمين خشية انهيار الأنظمة الحاكمة التابعة لها، وخاصة في مصر لمكانتها، ومانعة أي دولة منافسة لها، وخاصة بريطانيا ومن معها من دول أوروبا، من التسلل ومد نفوذها إليها، ومحاولة استغلال الثورات لإخراج نفوذ بريطانيا السياسي من اليمن والخليج وشمال أفريقيا. ومن ضمن الوسائل والأساليب التي تعتمدها لتحقيق ذلك استغلال فكرة "الصداقة الأميركية" القائمة على مد الشعوب الفقيرة بـ "المعونات الأميركية" واستعمال القمح وتقديم القروض والمنح المالية والمساعدات الإنسانية عن طريق المؤسسات التابعة للأمم المتحدة المليئة بالجواسيس.

إن أسلوب "المعونات الأميركية" هذا قد استمر بعد الثورات، فقد أعلنت أميركا عن استئناف تقديم مساعدات لمصر تبلغ ١,٣ مليار دولار، وزيادة في المساعدات الإنسانية لليمن لتبلغ ٥٥ مليون دولار، ومساعدات لتونس لقضاء ديونها التي تبلغ ١٠٠ مليون دولار. وهنا يطرح أكثر من سؤال حول هذه المساعدات وحقيقتها وأهدافها: هل هو الكرم الأميركي الحاتمي؟ أم هو الدافع الإنساني طمعاً في إغاثة الملهوف وأملاً في نشر الخير والمعروف؟ أم هي لوجه الله؟... أم هي مساعدات شيطانية تقوم على اللف والدوران الرخيص والتضليل الحقير وشراء الذمم من أجل السيطرة ومد النفوذ ورهن توجهات البلاد السياسية ومقدراتها الاقتصادية. إن المساعدات الأميركية هذه هي إحدى أدوات الأمن القومي للولايات المتحدة، وهي مساعدات سياسية وليست إنسانية؛ لذلك هي تتعلق بالمساءلة الدستورية التي يحاسب الكونغرس رئيس البلاد عليها.

إن تاريخ المعونات الأميركية يعود إلى زمن الرئيس الأميركي الأسبق ترومان الذي أقر برنامج للمعونات تحت مسمى: «مساعدة تقنية للدول النامية» وقد أُظهرت على أنها تعبير عن سلوك إنساني ونوايا طيبة لمجتمع ديمقراطي تجاه المجتمعات الأقل حظاً والتي تتسم بالتخلف التقني وغياب القيم الاجتماعية المتناسقة مع التقدم والرخاء. وهنا تجدر الإشارة إلى أن الشعب الأميركي

يعارض في معظمه هذه المعونات ويطالب بتخفيضها، وهذا يوضح أن الرأي العام الأميركي ليس هو الذي يقرر سياسات المعونة الخارجية. وكذلك فإن المعونات الأميركية تستمر حتى في أوقات الأزمات وقصور الإنفاق العام الداخلي لأنها تخدم مصالح أميركية متعددة لا يعلمها إلا السياسيون، فقد قال عضو الكونجرس كلارنس لونج إن مؤيدي المعونة يمثلون دوافع اقتصادية وسياسية متنوعة تشكل أهدافاً مختلفة مثل شراء أصوات في الأمم المتحدة أو مواقف تخدم مصالحها أو إقامة قواعد عسكرية عبر البحار. فالرؤساء الأميركيون يعترفون بصراحة بأهمية المعونات الخارجية كأداة لتعزيز مصالح أميركا الاقتصادية والسياسية والعسكرية في الخارج. فمرسوم الكونجرس لسنة ١٩٥٠م الخاص بالتنمية الدولية يبيح فتح الأسواق المحلية في الدول على مصراعيها للبضائع الأميركية عموماً. وفي ظروف الهيمنة السياسية الأميركية تتمتع الشركات الأميركية بمساندة حكومتها لأنشطتها التجارية الخارجية؛ وبذلك تعترف وكالة التنمية الدولية USAID وكذلك الخارجية الأميركية للكونجرس وللشعب الأميركي أن المساعدات الأميركية ليست هبة وإنما مصالح.

ويصف وزير الخارجية الأميركية الأسبق جورج شولتز برنامج المعونات الأميركية في مقدمة تقريرٍ خاص صدر عن الخارجية الأميركية عام ١٩٨٣م على أنه "أداة أساسية من أدوات سياسة أميركا الخارجية، وأنه يرتبط ارتباطاً مباشراً بأمن أميركا القومي وازدهارها الاقتصادي". ويذكر الرئيس الأسبق رونالد ريغان في رسالته السنوية أمام الكونغرس الأميركي عام ١٩٨٦م في هذا السياق: "إن كل دولار ينفق على المساعدات الأمنية يساهم في الأمن العالمي بالمساهمة نفسها لذلك الدولار في بناء قوة الدفاع الأميركية".

وتقرر هذه المساعدات وتمرر بالإضافة إلى المؤسسات الأميركية من قبل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي اللذين تسيطر الولايات المتحدة عليهما، سواء من خلال رأس المال المقدم أومن خلال عملية اتخاذ القرارات عن طريق قوتها التصويتية وسيطرة موظفيها، وهذا شكل من أشكال الوصاية الأميركية الدولية على العالم بحيث تتحقق فى النهاية أهدف الأمن القومي الأميركي.

وقد كرست السياسة الخارجية الأميركية جهودها على استخدام الدولار استخداماً سياسياً فى المعونات الخارجية، وهو ما أطلق عليه الاقتصادي الأميركى سيتوارت سميث "الدولار السياسي"، حيث وجه انتقادات

قاسية لسياسة المساعدات الاقتصادية الأميركية بوصفها لوناً من ألوان السيطرة الجديدة لخدمة الأهداف الأميركية دون مراعاة المصالح الوطنية للدول المتلقية للمساعدات. فالدولار الأميركي لم يتخلَّ عن جنسيته السياسية من خلال المساعدات الأميركية إلى الخارج. ومنذ بروز الدور العالمي للولايات المتحدة الأميركية كقوة كبرى بعد الحرب العالمية الثانية كان هناك ترابط وثيق بين المساعدات الاقتصادية والمساعدات العسكرية، فنادراً ما كانت هناك مساعدات اقتصادية دون أن ترتبط بمساعدات عسكرية.

هذه الأساليب التي تستخدمها أميركا في سياساتها الاستعمارية ظهرت واضحة كل الوضوح بعد توقيع الاتفاقيات مع كيان يهود في فلسطين، وكان منهج معاهدات السلام أن يؤثر على كل وجوه الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية في العالم الإسلامي، أي سياسة التطبيع مع العدو الصهيوني والمحافظة على اتفاقيات السلام أو التبعية الاقتصادية. ففي مصر كمثال لمكانتها وتاثيرها في المنطقة حيث تعد اليوم من بين الدول الأولى في العالم المتلقية للمعونات الأميركية ولا يفوقها في ذلك إلا كيان يهود. ففي العشر سنوات الماضية وصل مصر ١٥ بليون دولار ما بين منح وقروض أميركية بالإضافة إلى مساهمات ألمانيا الغربية واليابان والبنك الدولي المهيمَن عليه من قبل أميركا حيث تم تحويل مصر إلى قاعدة أميركية.

هذا وقد بدأت مصر في الحصول على المعونات الأميركية في زمن عبد الناصر ثم ازدادت كثيراً بعد معاهدة السلام والتى تم توقيعها بين مصر و(إسرائيل) برعاية أميركية، وكان ذلك فى عام ١٩٧٩م، ومنذ ذلك التاريخ اقترح الرئيس الأميركي فى ذلك الوقت جيمى كارتر بأن تقوم أميركا بدفع معونة لكل من دول الصراع فى منطقة الشرق الأوسط (مصر و(إسرائيل) والأردن وسوريا ولبنان) ومنذ ذلك التاريخ تمت الموافقة على ترتيب معونة لـ (إسرائيل) تبلغ (٢,٣مليار دولار) سنوياً ومعونة لمصر تبلغ (٢,١مليار دولار) سنوياً وهي عبارة عن (١,١مليار دولار) معونة عسكرية و(مليار دولار) معونة اقتصادية كما أعلن، ومنذ ذلك التاريخ تقوم أميركا بسداد هذه المعونة فى شكل سلع وخدمات وليست معونة (نقدية) كما تحصل عليها (إسرائيل)، وتعطى هذه المعونة فى صورة (أسلحه ومعدات) و(نقل أسلحة) على متن شركات أميركية وخبراء تدريب أميركيين ومكافآت للمستشاريين العسكريين الأميركيين، فقد تم تدريب أكثر من ٢٥ ألف عسكري مصري بمختلف

الرتب في أميركا بالإضافة إلى قطع الغيار، وكل هذا يستهلك المعونة لصالح أميركا حتى إن (٦٦٪) من قيمة المعونة يعود مرة أخرى لجيوب أميركا.

وتصر أميركا على استمرار تقديم الدعم للجيش المصري لاستمرار نفوذها فيه بالرغم من الأزمة الاقتصادية الأميركية، فالحفاظ على النفوذ الأميركي القوي في الجيش المصري يعتبر من أهم الإنجازات الأميركية في الشرق الأوسط منذ خمسينات القرن الماضي، وقد فسّرت مجلة (فورين بوليسي) الأميركية بتاريخ ٢٠١٢/٢/١٧م ذلك الإصرار بنقلها عن مصادر دبلوماسية غربية وعسكرية مصرية ما نصه: "ومن الأسرار المكشوفة تقريباً أن الضباط يتلقون زيادات في الرواتب منذ بدء الاحتجاجات، ولكن يمكن أن تكون المكافآت التي يعطيها المجلس العسكري الأعلى حتى أكبر مما كان يُعتقد في السابق"، وقال دبلوماسي غربي آخر إنه شاهد أدلة على دفعات منتظمة تصل إلى ١١٦٠٠ دولار لضابط برتبة عقيد فما فوق".

وقالت المصادر: "إن طبقة الضباط هي التي يهتم المجلس العسكري الأعلى بإرضائها"، وأضافت: "كثيرون من أولئك الضباط وبينهم الكثير دُرِّبوا في الولايات المتحدة عادوا إلى مصر لإدارة شؤون البلاد" وقد أثرت تلك الأموال الأميركية على علاقات ضباط الجيش بالمجلس العسكري فقالت المجلة: "إن المجلس العسكري الأعلى في مصر يشعر بقلق عميق من الاحتكاك المتزايد بينه وبين ضباط الطبقة المتوسطة، ونتيجة لذلك فإن المجلس متمنع بصورة متزايدة عن عمل أي شيء يمكن أن يمثل مخاطرة بتدهور العلاقة بينه وبين ضباط الجيش إلى حد أكبر"، وأضافت: "إن المجلس العسكري الأعلى سرَّع عشرات حالات الترقية لضباط شباب في محاولة لكسب موافقتهم.

ويصر المجلس العسكري في كل من مصر وأميركا على إبقاء هذه المساعدات، فقد عمد المجلس العسكري في مصر إلى الإبقاء على الدولة محتاجة إليها لعمالته، فقد أشارت ندوة المجلس الأعلى للقوات المسلحة إلى أن الفجوة التي لم تتمكن الحكومة من تدبيرها في عجز الميزانية تصل لنحو١٠ مليارات دولار لا مفر من تغطيتها إلا بالاقتراض والحوار مع صندوق النقد الدولي لاقتراض٣,٢ مليار دولار.

إن هذه المعلومات تؤكد على مدى تغلغل النفوذ الأميركي في أوساط ضباط الجيش المصري حتى من الرتب الدنيا، فالحفاظ على هذا النفوذ الأميركي الكبير في أوساط الجيش هو الذي يبرر استمرار المعونات الأميركية

لمصر بالرغم من ارتفاع الأصوات في الكونغرس لقطعها؛ ولذلك حذّر رئيس هيئة الأركان المشتركة الأميركية الجنرال مارتن ديمبسي من أن: "قطع المعونة الأميركية عن مصر سيعزل الولايات المتحدة عن الجيل المصري القادم ما يعني فقدان التأثير الأميركي عليه" وقال "إن تصرف المجلس الأعلى للقوات المسلحة المصرية بمسؤولية جاء في جزء منه نتيجة أننا شركاء معاً؛ حيث يأتون إلى مدارسنا ويتبادلون البرامج معنا على مدى ٣٠ عاماً. إن قطع المعونة وبناء على ذلك عزل أنفسنا عنهم يعني أن الجيل القادم لن تكون لديه هذه الميزة، ولا أدري إلى أين سيأخذنا ذلك، وما أقوله لكم هو الحقيقة".هذا هو سر استمرار المساعدات الأميركية للجيش المصري تحديداً.

ورغم وضوح العلاقة بين العسكر في مصر وأميركا وارتباطاتهم الوثيقة وعمالتهم للقاصي والداني إلا أننا نسمع أصواتاً غريبة محسوبة على الإسلاميين في مصر تُنادي بالحفاظ على المساعدات الأميركية لمصر، وتُهدد في حال قطعها بتعديل معاهدة كامب ديفيد الخيانية، فقد قال عصام العريان نائب رئيس حزب الحرية والعدالة ورئيس لجنة الشؤون الخارجية في البرلمان المصري بأنه إذا قطعت الولايات المتحدة المعونة عن مصر فسوف يقوم البرلمان المصري بتعديل معاهدة كامب ديفيد الموقعة بين مصر والكيان (الإسرائيلي) لأن المعونة جزء من هذه الاتفاقية على حد قوله.

ولا بد من التذكير هنا بأن معاهدة كامب ديفيد المشؤومة التي وقعت بين الرئيس المصري السادات ورئيس وزراء كيان يهود مناحيم بيغن في العام ١٩٧٩م قد أخرجت مصر بوصفها أكبر قوة عربية من المعركة وحقّقت لأميركا و(إسرائيل) ما لم تكونا تحلمان به، وكان من نتائجها المدمرة:

١- عدم السماح لدخول القوات المسلحة المصرية إلى سيناء إلا بإذن (إسرائيلي).

٢- وضع قواعد رادار أميركية في سيناء.

٣- ربط الجيش المصري بأميركا تجهيزاً وتسليحاً وتدريباً وإشرافاً ربطاً محكماً ودائمياً.

٤- التخلي عن القضية الفلسطينية وترك حلها للفلسطينيين ولعب دور الوسيط لصالح (إسرائيل).

٥- الاعتراف والتطبيع مع كيان يهود مهما كلف الأمر .

٦- عدم السماح للجيش المصري بامتلاك أي سلاح يُهدّد أمن دولة يهود.

٧- تزويد (إسرائيل) بالنفط والغاز الرخيص.

٨- لا يمكن تغيير الاتفاقية إلا بطلب (إسرائيلي).

هذه هي أهم النتائج المعلنة التي

أسفرت عنها هذه الاتفاقية المشؤومة، والغريب أن نجد السياسيين المصريين الجدد الذين دخلوا إلى الحلبة السياسية يُركزون على الحفاظ على هذه الاتفاقية بكل ما ورد فيها من بنود مهينة وإذلال، والأغرب من ذلك الإسلاميون!! حيث لم يكتفِ بذلك حزب الحرية والعدالة التابع للإخوان المسلمين في مصر، بل تعداه إلى القيام بخطوة جريئة لتنفيذ السياسة المالية العميلة في مصر التي تنفذ عن طريق بعثة صندوق النقد الدولي التى وصلت القاهرة لاستكمال المحادثات الخاصة بإقراض مصر ٣,٢ مليار دولار حيث اجتمعت البعثة بمحمد مرسي، رئيس حزب الحرية والعدالة، وخيرت الشاطر، نائب مرشد الإخوان، فى مقر الحزب، كما عقدت لقاءً مع رئيس الوزراء كمال الجنزوري ووزراء التخطيط والمالية ورئيس البنك المركزى، والمجموعة الوزارية الاقتصادية، تحت عنوان الإصلاح وإعادة نمو الاقتصاد بعد الثورة.

إنه لمن الحرام شرعاً أن يُطالب أي مسلم باستمرار هذه المساعدات الأميركية لأنها لا تعني إلا بقاء النفوذ الأميركي، ويجب على أهل مصر إلغاء اتفاقية كامب ديفيد على الفور وقطع كل العلاقات مع أميركا ودولة يهود وإعادة بناء الجيش المسلم في مصر بعيداً عن أعين الأعداء ليقوم بواجبه بتوحيد البلاد وطرد الأعداء وتحرير فلسطين من دنس الكفار المستعمرين. لقد كان حرياً بعصام العريان وسائر السياسيين المصريين أن يرفضوا المساعدات الأميركية، وأن يرفضوا اتفاقية كامب ديفيد وأن يكشفوا خطورة هذه المساعدات.

وتعتبر الوكالة الأميركية للتنمية الدولية USAID حلقة اتصال مهمة بين الشركات الأميركية والأسواق الخارجية وفي معظم المجالات، وقد أعدت خططاً محكمة لتنفيذ سياسة أميركا الاستعمارية بوجه ملائم وجذاب، وغالباً ما تحوم شبهات فساد حول آلية إحالة عطاءات تطرحها هذه الوكالة لتنفيذ البرامج والمشاريع حيث الشروط التي تفرض وبالتعاون مع الأنظمة الحاكمة لا يتم تنفيذها إلا باستقدام الخبراء الدوليين وخاصة الأميركيين في الدول التابعة للنفوذ الأميركي أو المحتملة أو الخبراء الأوروبيين، وذلك بتكاليف تصل لخمسة أو ستة أضعاف أجر أي مستشار أو خبير محلي، حيث إنها تستهلك ما يصل إلى ٢٥٪ من المنحة المقدمة للدولة من خلال المصاريف الإدارية ومصاريف بيت وسيارة وهواتف وتنقلات. وفي النهاية لا تصل نسبة الإنجاز لمثل هذه المشاريع ٤٠٪ مما يجب إنجازه على أرض الواقع، أما البرامج التي تعمد السياسات الغربية والأميركية (والأوروبية) تنفيذها

وتساعد فيها فهي:

أولاً: برنامج المساعدات الأميركية للغذاء:

من خلال المساعدات الغذائية توفر USAID فرصاً إضافية لتوسيع التجارة الخارجية الأميركية، وهي لا تصل إلى المعنيين وبالتالي لا تخفف من حدة جوعهم، ونجد أن الهيئات الحكومية الأميركية تتفق مع القول أن المعونة الغذائية قليلاً ما تصل إلى الجائعين، وفي نفس الوقت فهي تؤدي إلى تخفيض أسعار المنتجات الزراعية المحلية، وتزيد المنتجون المحليون فقراً. وكثيراً ما استغلَّ الغذاء مقابل المواقف السياسية!! وباختصار تعتبر المساعدات الغذائية أداة للتحكم السياسي. وظهر هذا واضحاً من تصريحات قادة الإخوان المسلمين في مصر ربطوا قطع المعونة بمعاهدة كامب ديفيد.

ثانياً: المساعدات الأميركية الأمنية:

أما المساعدات الأمنية والتي تهدف لتعزيز حالة الاستقرار في المناطق التي تؤخذ بعين الاعتبار في التخطيط الأمني الأميركي ففي هذه المناطق تعتبر المعونات الاقتصادية الأميركية مفيدة في مساندة (السلام أو الحرب حسب وجهة النظر الأميركية) لأن الملاحظ أن الدول التي لها الأولوية من المساعدات نجد أنها تتميز بمواقع عسكرية استراتيجية. والحقيقة هي أن المساعدات الأميركية إلى مصر والأردن والسلطة الفلسطينية هي في جوهرها مساعدات للكيان الصهيوني (أي بيع فلسطين لأميركا والصهاينة تدريجياً) لأنها ترتبط بشكل مباشر بعقد الاتفاقات السياسية بين الدول العربية والكيان الصهيوني، وقد تم إعفاء الأردن من ٧٠٠ مليون دولار من الديون عام ١٩٩٤م بعد اتفاق وادي عربة، وتحصل مصر على أكثر من ملياري دولار سنوياً لقاء صفقة كامب ديفيد.

ثالثاً: المساعدات الأميركية العسكرية:

يقول وليام كوهين وزير الدفاع الأميركي الأسبق إن صفقات السلاح الأميركية:» تأتى فى إطار اتفاقيتي كامب ديفيد واتفاق الصلح بين القاهرة وتل أبيب لضمان عدم محاكمة العسكريين أو المدنيين الأميركيين أمام المحكمة الجنائية الدولية على ارتكابهم لجرائم الحرب أو جرائم ضد الإنسانية، وكذلك تكون مقابل قواعد عسكرية أميركية ومؤسسات ذات صفة عسكرية، وجيش من عناصر الحماية لأغراض حماية السفارات الأميركية وقنصلياتها فضلاً عن حماية الحكومات العميلة التي ترعى بدورها المصالح الأميركية.

وعلى سبيل المثال فقد قدمت مصر تسهيلات بحرية وجوية مقابل المساعدات الأميركية العسكرية على الشكل التالي:

١. تسمح مصر للطائرات العسكرية الأميركية باستخدام الأجواء العسكرية المصرية، وخلال الفترة من ٢٠٠١م إلى ٢٠٠٥م سمحت مصر ٣٦٥٥٣ مرة بعبور طائرات عسكرية أميركية الأجواء المصرية.

٢. منحت مصر تصريحات على وجه السرعة لـ٨٦١ بارجة حربية أميركية لعبور قناة السويس خلال نفس الفترة، وقامت بتوفير الحماية الأمنية اللازمة لعبور تلك البوارج.

٣. نشرت مصر حوالى ٨٠٠ جندي وعسكري من قواتها في منطقة دارفور غربي السودان عام ٢٠٠٤م.

٤. قامت مصر بتدريب ٢٥٠ عنصراً في الشرطة العراقية و٢٥ دبلوماسياً عراقياً خلال عام ٢٠٠٤م.

٥. أقامت مصر مستشفى عسكرياً وأرسلت أطباء إلى قاعدة باجرام العسكرية في أفغانستان بين عامي ٢٠٠٣م و٢٠٠٥م حيث تلقّى حوالى أكثر من ١٠٠ ألف مصاب الرعاية الصحية.

٦. المناورات العسكرية الأميركية المشتركة المعروفة باسم «النجم الساطع» حيث جرت أكثر من مناورة شاركت فيها قوات عسكرية من الجانبين، استهدفت الترتيب الأمني الأميركي الجديد لأفريقيا.

٧. «الحرب على الإرهاب» وتعزيز الأمن زاد من عسكرة سياسة بوش الأفريقية لعام ٢٠٠٨م.

٨. المساعدة في مواصلة السعي للاستفادة من الموارد الأفريقية، وإقامة قيادة عسكرية مركزية لأفريقيا تعمل على تحقيق غرض الوصول إلى نفط وغاز أفريقيا وغيرها من الموارد الطبيعية في القارة.

وكان من الواضح، أن المساعدات التى قدمتها الولايات المتحدة الأميركية إلى كل من مصر وسوريا فى أعقاب حرب ١٩٧٣م، قد ارتبطت فى الأساس بنتائج اتفاقات فك الاشتباك بين القوات العربية و(الإسرائيلية)، ففى خلال المرحلة المكوكية لهنري كسينجر وزير الخارجية الأميركي الأسبق، كان هناك تركيز فى المفاوضات على الربط بين التسوية والاستقرار والرخاء فى المنطقة، على أن تلعب الولايات المتحدة الأميركية دوراً رئيسياً فى كل ذلك.

رابعاً: المساعدات على صعيد القضية الفلسطينية:

أما على صعيد فلسطين، فواضح أن المساعدات كانت مقابل السلام والأمن لكيان يهود حيث تمثل عملية السلام في الشرق الأوسط محوراً أساسياً في العلاقات بين السلطة الفلسطينية والولايات المتحدة، وأنّ مساعدات الحكومات الأميركية المختلفة للسلطة الفلسطينية سعت لتحقيق أولويات سياسية، وأن مستقبل المساعدات

الأميركية للسلطة الفلسطينية يتوقف على مدى التزام السلطة بهذه الشروط وهي: مكافحة ما يسمى "الإرهاب" ضد (إسرائيل) من قبل الفصائل الفلسطينية والمنظمات المسلحة الأخرى، واستدامة الاستقرار، ودعم التعايش السلمي مع (إسرائيل)، والاعتراف بحق "كيان يهود" في الوجود.

فقد ذكرت مصادر فلسطينية مطلعة أن الإدارة الأميركية ما زالت تواصل تقديم المساعدات للأجهزة الأمنية الفلسطينية بكل أنواعها، سواء من ناحية إقامة المقرات أم تقديم التجهيزات والدعم اللوجستي إضافة للأموال. ويعترف ويؤكد وزير الاقتصاد الوطني الفلسطيني حسن أبو لبدة بأن لدى السلطة توجهاً رسمياً برفض المساعدات الأميركية للفلسطينيين لعام ٢٠١٢م إذا ما اقتصرت على قطاع الأمن، وتعزيز القدرات الأمنية الفلسطينية الهادفة في نهاية الأمر لتعزيز الأمن لصالح (إسرائيل)، وإن اقتصار هذه المساعدات على الأمن يعني أن للادارة الأميركية تصوراً حول وظيفة السلطة لا نقبله ويقوم على أساس أن لها وظيفة أمنية أكثر منها وظيفة اقتصادية وسياسية واجتماعية وما شابه.

لقد تحولت السلطة الفلسطينية إلى بسطة أمنية (مخفر صغير) وحارس عميل متسوِّل لأموال "المانحين" الأميركيين وغير الأميركيين التي تقدم للفلسطينيين باسم "دعم عملية السلام" والتي تتحول إلى رشاوى وفساد وفضائح على رؤوس الأشهاد.

خامساً: برامج المساعدات الأميركية لتحديد النسل:

تدَّعي أميركا أن الانفجار السكاني إذا لم يوقف سيؤدي إلى ثورات... لذلك يجب السيطرة على زيادة السكان لكي تسير الحركة الطبيعية للمصالح التجارية الأميركية حول العالم بشكل مأمون... وتدعي أنه بدون محاولة معاونة هذه البلاد في تنميتها الاجتماعية والاقتصادية، سيثور العالم ضد الوجود التجاري الأميركي القوي، تقول كارين مايكلسن: كان يفرض على الدول الفقيرة برامج تحديد النسل بصرف النظر عما إذا كان لديها أو لم يكن لديها مشكلة سكان، وكان ذلك شرطاً لمنح معونة الغذاء وأشكال أخرى من المعونات الثقافية بدعوى مواقفها الإنسانية.

هذا بعض ما يسمى بالمعونات الإنسانية الأميركية التي تقدم للدول التي تسمى فاشلة في إطار عدم التكافؤ السياسي، وكلها تقع في دائرة الشبهات وخاصة في ظل النظام الرأسمالي المادي الجشع والمكاسب السطحية التي قد تنتج من هذه المعونات لهذه الدول الفاشلة مقابل الثمن السياسي الباهظ

الذي تقبضه الدول الغربية الرأسمالية.

وبعد كل هذا لا بد من التذكير لمن يرضى ويطالب بإبقاء هذه المساعدات الأميركية والغربية بما يقوله الخبراء الغربيون عنها:

فقد قال الخبير الاقتصادي دامبيسا مويو في مقال كتبه بمجلة وول ستريت: إن أموال المساعدات الخارجية حاصرت العديد من الدول الأفريقية في دائرة من الفساد والفقر والتباطؤ في النمو الاقتصادي، مشيراً إلى أن ضرر هذه الأموال أكثر من نفعها. وقال الخبير السابق في بنك غولدن ساكس ومؤلف كتاب "المساعدة الميتة: لماذا لا تنجح المساعدات؟ وكيف السبيل لطريقة أكثر نفعاً لأفريقيا؟": إن الأدلة تشير إلى أن المساعدات الدولية التي ترسل إلى أفريقيا وتبلغ أكثر من ٥٠ مليار دولار سنوياً، تزيد الفقراء فقراً، وتجعل الاقتصاد أكثر بطئاً .وهذه المساعدات خلفت دولاً ترزح تحت وطأة الديون والانكماش، وجعلتها أكثر هشاشة أمام الأسواق المالية وتنفيراً للاستثمارات ذات الجودة العالية، كما أنها عززت من خطر الوقوع في دوامة الحروب الأهلية والفوضى. وحاول الكاتب أن يوضح أن المساعدات لا تصرف في أوجهها الصحيحة، فيضرب مثلاً فيقول "فبدلاً من إغراق الأسواق الفقيرة بالمنتجات الأميركية التي يتم شراؤها من فتات أموال المساعدات، كان من الأجدى استخدام هذه الأموال في شراء المنتجات من المزارعين المحليين ومن ثم توزيعها على المحتاجين في البلاد."

ويقول ضياء الدين داود رئيس الحزب الناصري: "لو جرى استفتاء للشعب المصري حول قبول أو رفض المعونة الأميركية ستكون النتيجة لصالح رفض هذه المعونة مقابل التخلص من شبح التدخل في شؤوننا الداخلية والفوز بتحرير إرادتنا الوطنية من أي تدخل خارجي يسعى دائمًا لتحقيق مصالحه على حساب مصلحة الآخرين".

وبعد كل هذا يخرج علينا حزب الحرية والعدالة الذراع السياسية للإخوان المسلمين في مصر بعجب عجاب، ويهدد بإعادة النظر باتفاقية كامب ديفيد الموقعة مع (إسرئيل) في حال أوقفت الولايات المتحدة مساعدتها للقاهرة!! حيث قال محمد مرسي رئيس حزب الحرية والعدالة في بيان صحفي بعد الثورة: إن "المعونة الأميركية جزء من اتفاقية كامب ديفيد الموقعة بين مصر و(إسرائيل)، والجانب الأميركي ضامن لها وطرف أصيل فيها". واعتبر أن "التلويح بوقف المعونة من جانب الإدارة الأميركية ليس في محله وإلا سيعاد النظر في الاتفاقية وقد تتعثر". وتابع: "لا مجال للحديث عن المعونة إلا في إطار الاتفاقية"، ولكنه أشار في

نفس الوقت إلى أن حزبه "يريد لمسيرة السلام أن تستمر بما يحقق مصلحة الشعب المصري". وكانت واشنطن قد هددت بقطع المساعدات عن مصر بسبب محاكمة السلطات لأعضاء «جواسيس» في المنظمات المدنية بينهم ١٤ أميركياً على خلفية تلقي أموال من الخارج واستخدامها لأغراض غير قانونية في مصر.

إن هذه التصريحات تدل على أن الأحزاب في مصر ومنها حزب الحرية والعدالة المحسوب على الإخوان المسلمين، وهو من ذوي الاتجاهات الإسلامية، بقوا على نفس النهج السابق زمن مبارك في حالة استجداء وخنوع وانبطاح لأميركا لتحقيق أهدافها الاستعمارية والتي حرصت مصر والولايات المتحدة معاً لتحقيقها وهي:

- القبول بالاتفاقات الفلسطينية – (الإسرائيلية) مهما كانت نتائجها
- الإسهام الفاعل في إرساء تسوية مقبولة للقضية الفلسطينية تراعي حقوق ومطالب أطراف النزاع.
- المساعدة في التوصل إلى السلام في السودان، وتم فعلاً تقسيم السودان بمساعدة مصر.
- التحالف الاستراتيجي Strategic alliance بما يعنيه من تعاون عسكري وتدريب ومناورات مشتركة وبرامج تسليح عسكري ومخابراتي.
- الالتزام بالسلام بما يعنيه من تسوية سلمية للصراع العربي (الإسرائيلي) على جميع المسارات وتحقيق الأمن والاستقرار الوطني والإقليمي.
- الالتزام باتفاقية كامب ديفيد المشؤومة.
- التعاون المصري الأميركي في حرب الخليج في عام ١٩٩١م؛ والذي أثمر عن إلغاء ديون مصر العسكرية.
- إقناع الأطراف العربية بالجلوس مع (إسرائيل) على مائدة المفاوضات، واستمرت الجهود المصرية من أجل دفع المفاوضات الفلسطينية-(الإسرائيلية) لإحلال السلام في المنطقة والوصول إلى تسوية للقضية الفلسطينية والقدس من خلال لقاءات القمم في شرم الشيخ و كامب ديفيد وغيرها الكثير.
- التعاون في مكافحة الإرهاب كما يدعون وحسب فهمهم.

هذه هي ثمار المساعدات الأميركية وأهدافها وهي واضحة بينة للقاصي والداني.

وأخيراً فإن العالم كله قد سئم أميركا وأفاعيلها ونفاقها ومساعداتها المشبوهة، ونحن كمسلمين لسنا بحاجة إلى المعونات الأميركية والغربية، فبلاد المسلمين غنية عن التعريف في مواردها، ولكن أنظمتها الحاكمة غبية في الإدارة وعميلة في السياسة وماهرة في السرقة

ونهب الأموال وتبديدها لصالح الفئة الحاكمة والعسكر. فقد أكد مدير مركز الدراسات الاقتصادية الدكتور صلاح جودة أن مصر غنية بالموارد لكنها غبية في الإدارة؛ لأن لديها موارد كبيرة تستطيع أن تلحق بالدول المتقدمة، وتستطيع تحقيق الاكتفاء الذاتي لو تم حسن استغلال الموارد الموجودة فيها وحسن سير الإدارة فيها بطريقة صحيحة وتم الحفاظ عليها من سرقة المجرمين لأصبحت مصر متقدمة غنية تستطيع أن تقوم بإعطاء منح للآخرين. فخروج مصر من تحت الهيمنة الأميركية يجعل الجيش يطور تسليحه دون معرفة أميركا، وبالتالى (إسرائيل) التي تحرص الولايات المتحدة على ضمان تفوق جيشها على جميع جيوش الدول العربية.

وهنا تجب الإشارة إلى المعطيات التالية:

١) إن بلاد المسلمين لا تحتاج أن تستجدي المساعدات من أحد! وإن المسلمين يرفضون (صدقة) من عدو هذه الأمة! بل إن بلاد المسلمين منذ فجر التاريخ كانت سلة غذاء العالم التي لا تنضب، فكيف نرضى أن نقف اليوم على أعتاب الأعداء نستجدي معونة دولة الإجرام أميركا أو غيرها من أعداء الإسلام والمسلمين؟!.

٢) إن المساعدات التي تقدَّم لبلاد المسلمين تكون مشروطة بإملاءات وارتهانات كارثية، مثل ضمان الحفاظ على معاهدات السلام مع كيان يهود الغاصب، وغيرها من الارتهانات التي تجعل بلاد المسلمين بقبضة أميركا تملي على حكامها ما فيه مصلحة لها بغض النظر عما ستجرّه لبلاد المسلمين من مصائب وويلات!

٣) اننا نرفع الصوت عالياً، أن على المسلمين والواعين من أبناء هذه الأمة، أن يعُوا تمام الوعي، أن أميركا والغرب ما كانوا يوماً أصدقاء للأمة الإسلامية، بل هم العدو فاحذروهم، فجرائمهم ملأت الأرض شرقاً وغرباً. فلا تقبلوا منهم معونة ولا (صدقة)، فمعونتهم إملاءات وشروط وارتهان، يتبعه انصياع وتبعية وعمالة، تعود بالبلاد إلى درك أسوأ مما كانت أيام العملاء مبارك وبن علي وعلي عبدالله صالح والقذافي وشلتهم .

٤) إن الله سبحانه قد حبا الأمة الإسلامية بخيرات وثروات لا يحصيها العدّ، فمن ثروة بترولية وغاز وفوسفات ومعادن، إلى الثروات الحيوانية والبحرية والزراعية الهائلة، والتي لا يستفيد منها المسلمون بل أعداؤهم. فثروات بلادنا كثيرة يصعب عدها وإحصاؤها.

٥) إن عزة المسلمين تكون باتحادهم فيما بينهم تحت راية التوحيد «**لا إله إلا الله محمد رسول الله**»، في دولة واحدة هي دولة **الخلافة الراشدة**، فالمسلمون تجمعهم رابطة العقيدة الإسلامية التي تفرض أنّ سِلم المسلمين واحدة، وحربهم

واحدة، وثرواتهم واحدة، ولا يخضعون لابتزاز ولا مذلة مهما كلف الأمر، فهي الأمة التي رفعت شعار «**الموت ولا المذلة**»

٦) إن على الكفار أميركا وأوروبا أن يقرؤوا التاريخ جيداً عن مصير من حاول حرب الإسلام والمسلمين، وكيف كان مآل أمواله التي جمعها وأنفقها في الحرب والصد عن سبيل الله. فالمعركة هي بين الله وأوليائه المؤمنين وبين الكفار المجرمين. فمنذ بعثة النبي ﷺ قد أنفق الكفار الكثير من الأموال لمحاربة الإسلام وأهله ومنع إقامة دولة الاسلام إلا أنها كان مصيرها الفشل. وهذه حقيقة واضحة جلية في كتاب الله تعالى حيث يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ٣٦ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٣٧﴾.

٧) لقد حذر حزب التحرير مراراً وتكراراً من أن المساعدات الأميركية والغربية تُمنح لبلاد المسلمين من أجل الهيمنة عليها ومصادرة قرارها السياسي، وبعبارة أخرى فإن المساعدات الأميركية والغربية لا تعطى حباً بالمسلمين وعطفاً على حالهم، وصدق رب العزة حيث قال: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥﴾ فالمساعدات الأميركية والغربية تهدف إلى احتلال أرض المسلمين وسرقة ثرواتهم قال تعالى: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ١١٣﴾

من كل ما ذكر، فإن هذه المساعدات يجب أن تتوقف فوراً، ويجب قطع يد كل من تسوّل له نفسه التدخل في شؤون المسلمين، ويحب إخراج الاستعمار من أرض الإسلام وتحريرها وإنهاء دول الضرار العميلة وإقامة دولة الخلافة الراشدة على أنقاضها. فيا أيها المسلمون ضعوا أيديكم بأيدي حزب التحرير لإقامة دولة محمد صلى الله عليه وسلم ورفع رايته ولوائه، ويكون دستورها مستمداً من العقيدة الإسلامية فحسب، والتي تقام بالطريقة الشرعية وبسند حقيقي من الأمة، والتي تقطع الطريق على أي تدخل أجنبي بأي أسلوب كان، ومتوكلين على الله حق توكله، ولا نخشى في الله لومة لائم لا من أميركا ولا من أوروبا. فالنصر بيد الله وليس بمساعدات أميركا وأوروبا والحلفاء، قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٦٠﴾ ❑

بسم الله الرحمن الرحيم

الإعلام ودوره في نهضة الأمة

أبو أيهم النجار – فلسطين

لم يعد خافياً على أحد اليوم، مدى تعاظم تأثير الإعلام على الناس في كافة ميادين وشؤون الحياة حتى قيل، وهو قول صحيح، إن تأثير الإعلام بات أقوى من أية ترسانة عسكرية تمتلكها أية دولة في العالم، لما للإعلام من أثر بارز وتوجيه واضح ونفوذ واسع على طراز العيش لدى شعب من الشعوب أو أمة من الأمم. فالضربات والهجمات العسكرية تؤدي إلى قتل ناس وإلحاق دمار بالممتلكات، في حين أن أمواج الإعلام المتدفقة عبر وسائلها الكثيرة وأساليبها العديدة كفيلة بتغيير مسار أمة عن طريق عيشها التي تسير فيه، أو على الأقل حرفها عن ذلك النمط من العيش الذي كان مبنياً وفقاً لما تحمله من أفكار ومفاهيم، وذلك لأن الهجمات العسكرية لا تعدو كونها أعمالاً مادية بحتة تقتل وتدمر، ولكن سرعان ما تعود الأمور إلى مجاريها الأصلية لمجرد انتهاء العمل العسكري، في حين العمل الإعلامي المنهج ينتج عنه إعادة صياغة عقول وتحديد سلوكيات لدى الأفراد في المجتمعات. ولهذا ليس مستغرباً بأن تقوم الدول بتوظيف قوتها الإعلامية قبل قيامها بعمل عسكري ضد دولة أخرى، وكذلك أثناء قيامها بالعمل العسكري وبعده. وصدق القائل:

فإن النار بالعودين تذكى وان الحرب مبدؤها كلام.

إن الإعلام وأهميته ليس بالأمر الحديث أو المستجد، بل دور الإعلام كان بارزاً وظاهراً منذ القدم، وهو إن تنوعت أساليبه ووسائله، وتطورت من عصر إلى آخر بعده، إلا أنه يعد الطريق الرئيس في نقل الأخبار، وبث المعلومات، وعرض الحقائق من قبل جهة معينة إلى جهة أخرى وفق سياسة ممنهجة، بقصد تحقيق أهداف وغايات مرسومة ومخططة بناء على وجهة النظر التي تحملها الجهة التي يتبع لها الإعلام، أو بناء على ما تمليه تلك الجهة على الإعلامي المتصل بالجمهور أن يسير فيه أثناء تأديته لوظيفته الإعلامية. ففي الجاهلية مثلاً، كان الدور الإعلامي بارزاً من خلال استعانة القبيلة بالشعراء والأدباء كناطقين إعلاميين من أجل تسخين الأجواء وشحذ الهمم ورفع المعنويات القتالية عند الفارس إذا أرادت القبيلة حرباً مع قبيلة أخرى، وإذا قررت

القبيلة نزع فتيل تلك الحرب وإحلال حالة السلم مكانها، فما على الشاعر إلا أن ينظم قصيدة شعرية جديدة تنهي حالة الاحتقان وسخونة القتال لدى فوارس القبيلة. ففي حال الحرب كانت قصيدة الشاعر بمثابة جبهة إعلامية تثير الرأي العام عند رجال القبيلة نحو الحرب، وفي حالة السلم فان قصيدة أخرى كانت بمثابة صمام إعلامي لأطفاء جذوة الحرب وإخماد نارها.

وبعد أن جاءت رسالة الإسلام بأفكارها ومفاهيمها وآرائها وأحكامها العظيمة، من أجل إنهاض البشرية النهضة الصحيحة، بعد قرون الانحطاط والانخفاض الطويلة، اعتنى الإسلام أيما اعتناء بالإعلام من أول أيامه، حيث كانت أهمية الإعلام بارزة، وكان دوره واضحاً في أعمال دعوة الرسول ﷺ في مكة المكرمة من أجل إنهاض الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد. فمنذ أن شرع الرسول ﷺ بدعوة الناس إلى الإسلام، كانت معالم وملامح العمل الإعلامي واضحة، وكان دور الإعلام حاضراً في عملية النهضة وإحداث التغيير على أساس الدين الجديد الذي جاء به ﷺ، ولا أدل على ذلك مما أخرجه أحمد عن ابن عباس قال: «لما أنزل الله عز وجل ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ قال: أتى النبي ﷺ الصفا فصعد عليه، ثم نادى: ياً صباحاه، فاجتمع الناس اليه بين رجل يجيء إليه وبين رجل يبعث رسوله، فقال رسول الله ﷺ: يابني عبد المطلب، يا بني فهر، يا بني لؤي، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟ قالوا: نعم، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ...». فهذا الأسلوب الندائي الذي استعمله الرسول ﷺ استطاع من خلاله لفت أنظار الناس إليه، ومن ثم حضورهم ليصغوا إلى خطابه الذي يريد أن يلقيه عليهم بهدف توصيلهم ما تحمل رسالته من أخبار صادقة وحقائق ثابتة ومفاهيم ناهضة. فأسلوب الرسول ﷺ ومحتوى خطابه، وما كان يهدف إليه أثناء اتصاله بالجمهور، كلها تبين كيف يجب أن ترسم السياسة الإعلامية عندنا لتؤدي دورها في خدمة الأمة والعمل على إنهاضها إن لم تكن ناهضة، والحفاظ على استمرارية وديمومة تلك النهضة إن كانت الأمة تسير وفقاً لمبدئها في طريقة عيشها ونمط حياتها.

إن الإعلام بوصفه مصطلحاً من المصطلحات المعمول بها اليوم في العالم عامة وفي بلدان المسلمين بخاصة، لا

بد له من مرتكزات يرتكز عليها، هذه المرتكزات هي بمثابة أركان وشروط ثابتة لا تتغير ولا تتبدل في رسم النهج الإعلامي وتحديد معالم وملامح السياسة الإعلامية أثناء قيام العاملين في حقل الإعلام بتأدية رسالتهم الإعلامية، من أجل صبغ المتلقي للرسالة الإعلامية بوجهة النظر التي ينتمي إليها الإعلام وما تحويه من أفكار ومفاهيم وأحكام وآراء. وبما أن الحديث هو عن دور الإعلام القائم في بلاد المسلمين في نهضة الأمة الإسلامية، كان حتماً أن تنحصر هذه المرتكزات في القرآن الكريم، والسنة النبوية، والعقيدة الإسلامية، واللغة العربية. فهذة المرتكزات الأربعة وحدها تجعل الإعلام في بلاد المسلمين صادقاً أميناً عاملاً في الأمة من أجل نهضتها. وما عدا ذلك يمكن وصف الإعلام بأنه خادع مضلل متآمر على الأمة ونهضتها إن هو ارتكز إلى غير هذه المرتكزات أو أشرك معها أموراً ومعايير وأركاناً لا تمت إلى الإسلام بصلة، وإن كان الإعلام لا يرتكز أصلاً على معايير محددة ولم يتأسس وفقاً لمرتكزات إعلامية صحيحة وواضحة، فان مصيره يكون الفشل، وسرعان ما يتلاشى وينتهي لعدم متابعة الناس له واهتمامهم بالتلقي عنه.

أما القرآن الكريم، الذي هو المصدر الأول من مصادر التشريع عند المسلمين، فيعتبر الركيزة الأولى في رسم السياسة الإعلامية وتشكيل ملامحها ومعالمها وتأسيس قواعدها. فعلى أساس آيات ونصوص القرآن الكريم يجب أن يسير الإعلامي وهو يحمل رسالته الإعلامية ويتصل بالجمهور بهدف تشكيل وجهة النظر عند المسلمين على أساس الإسلام من خلال بثه للأفكار والمفاهيم الصادقة والأخبار الصحيحة والأحكام والآراء المسيرة لسلوكيات الناس، والتي على أساسها تتولد حركة النهضة الصحيحة في الأمة. فهذه الأفكار والمفاهيم والأحكام والآراء المستمدة من آي الذكر الحكيم والقائمة على أساسها، يشترك الطاقم الإعلامي بجميع عامليه في توصيلها للجمهور عبر وسائله المتعددة ومن خلال أساليبه المتنوعة في إيجاد الرأي العام عند أبناء الأمة، الذي ينتج عنه وعي عام قائم على أساس العمل لنهضتهم. فالقرآن الكريم، هو الكتاب القطعي الذي نقل لنا أنباء السابقين وأخبار اللاحقين، فهو الكتاب الذي قال عنه الامام علي رضي الله عنه: «كتاب اللّه: فيه نبأ مَنْ قبلكمْ، وخبر من بعدكمْ، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه اللّه، ومن

ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنتهِ الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ۝١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾، من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، من حكم به عدل، من دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم». فالإعلام الذي يتخذ من القرآن الكريم ركيزة له، حتماً سيجعل الذين يتصل بهم يسيرون على هدى ونور ووفق خطوات ثابتة، وينتقل بهم من درجة إلى أخرى ومن مستوى إلى آخر أعلى منه حتى يستوي بهم عند مستوى النهضة المطلوبة.

أما السنة النبوية، فإنها لا تقل أهمية عن القرآن الكريم في كونها يجب أن تكون مرتكزاً أساسياً من مرتكزات العمل الإعلامي الهادف إلى تحقيق النهضة المنشودة في الأمة الإسلامية، كيف لا والرسول ﷺ قال لنا: «**أوتيت القرآن ومثله معه**». فأهمية السنة النبوية كمرتكز إعلامي تكمن في كونها جاءت مفسرة ومبينة لآيات ونصوص القرآن الكريم، ثم إن السنة النبوية إلى جانب ذلك جاءت وأضافت أحكاماً شرعية لم تشتمل عليها آيات القرآن الكريم لتسهم بشكل كبير في تحديد سلوكيات ومنهج الرسالة الإعلامية التي تلقى على المستمعين أفراداً كانوا أو جماعات أو مجتمعات. فقد ذكر صاحب كتاب «الإعلام في صدر الإسلام» مبيناً دور السنة في تصميم الفلسفة الإعلامية في بلاد المسلمين، فقال: «وإذا كان القرآن الكريم يسهم في تكوين فلسفة إعلامية تشكل اتجاهات الرأي العام على النحو الذي ذكرنا باعتباره دستور المسلمين، نظراً لما يختص به من مميزات يعجز أي عامل آخر أن يصل إلى مرتبته، فإن سنة الرسول ﷺ تأتي في المرتبة الثانية للقرآن الكريم وتؤدي دوراً مكملاً لدوره». فإذا أضفنا إلى هذا، أن السنة النبوية انتسبت إلى حامل رسالة النهضة الصحيحة، إلى محمد ﷺ القدوة الذي اجتمعت فيه كل مقومات الرجل القائم بعملية الاتصال بالناس وهو يدعو إلى الإسلام من أجل إنهاض البشرية جمعاء، يتبين لنا مدى اقتداء الإعلامي بالرسول الكريم ﷺ في ما يقوم به من نقل للأخبار وإلقاء للمعلومات وبث للأفكار والمفاهيم والأحكام والآراء وغيرها من البرامج الإعلامية الهادفة والتي تصب في نهضة المسلمين، خاصة وأنه يملك من

الأساليب والوسائل ما يمكنه من تسريع عجلة النهضة.

أما بالنسبة للعقيدة الإسلامية، كواحدة من مرتكزات العمل الإعلامي عند المسلمين، فان أهميتها الإعلامية تكمن في كونها هي القيادة الفكرية التي على أساسها ينطلق الإنسان في الحياة. فهي التي تشكل القاعدة الأساسية في حياة الفرد والمجتمع والدولة، وهي التي ترد على أسئلة التائه الحيران عن الكون والإنسان والحياة، فتجيبه إجابة مقنعة لعقله موافقة لفطرته، تجعله يسير في حياته مطمئناً ساكناً عندما يقوم الإعلامي بإيصال وإلقاء الحقائق الفكرية الصادقة والمفاهيم الصحيحة القاطعة التي انحصرت بها عقيدة الإسلام وحدها في حل العقدة الكبرى لدى هذا التائه المتخبط في ظلمات العقائد التي ألفتها العقول البشرية العاجزة المحدودة. فيقوم المتصل بتسخير ما لديه من طاقات وإمكانيات إعلامية في بيان أن هذا الكون والإنسان والحياة مخلوقة لله وحده لا شريك له، وأنه سبحانه خلقها من العدم، وهي تسير وفق نظام معلوم ولزمن معلوم حتى أجل معلوم، ثم تنتقل بعدها إلى البعث والحساب. فالمسيرة الإعلامية الصادقة المخلصة هي المسيرة الإعلامية التي لا يمكن لها أن تنبس ببنت شفة.. عن حقيقة الكون والانسان والحياة، وعلاقتها بما قبلها وما بعدها، إلا بجعل العقيدة الإسلامية أساساً من أساساتها وركيزة من ركائزها.

أما اللغة العربية، المرتكز الرابع والأخير من مرتكزات الإعلام الناهض، فإننا في الحقيقة نتكلم عن الوعاء الذي لا يمكن للمرتكزات الثلاثة الآنفة الذكر أن تفسر وتوضح وتفهم على حقيقتها إلا به. فآيات القرآن الكريم وأحاديث السنة النبوية وكل ما يتعلق بالحديث عن الغيبيات المتعلقة بالعقيدة الإسلامية، كلها تحتم لزوم أن يكون مخزون اللغة العربية جنباً إلى جنب مع القرآن الكريم والسنة النبوية والعقيدة الإسلامية أثناء العمل الإعلامي، من أجل إيجاد الفهم الصحيح عن الإسلام وطريقته في التغيير وإحداث النهضة الصحيحة في الفرد والمجتمع والدولة. لذلك يتعين على الذي يقوم بعرض الرسالة الإعلامية أن يجعل اللغة العربية المنهل الأساس الذي ينهل منه مفرداته ومعانيه، وهو يقوم بتكوين عباراته ونسج تراكيبه الإعلامية. وكذلك الأمر عندما يقوم بطبع تلك المفردات والمعاني وهو يعمل على إعداد ونشر دعاياته وإعلاناته. فهذه المفردات وما لها من

معانٍ والتي يسوقها الإعلامي وهو يلقي نشرة إخبارية أو يطرح أفكاراً معينة أو يعرض برنامجاً وثائقياً، يجب أن تستمد من اللغة العربية وعلى أساسها، وذلك لأنها مفردات اللغة التي وضعها العرب ووضعوا مدلولاتها ومعانيها، علاوة على أنها هي اللغة التي جاءت بها رسالة الإسلام العظيم. فلا يتأتى للإعلامي وهو يعمل في سلك الإعلام أن يستعمل مفردة أو مصطلحاً معيناً من مفردات ومصطلحات اللغة العربية بغير المعنى الذي وضعه العرب له وعلى غير الوجه الذي استعملوه فيه، فالمسألة بالنسبة له هي مسألة نقل للمفردات ومعانيها عن واضعها الأصلي، وهم العرب، لا أكثر ولا اقل، مع الأخذ بعين الاعتبار أن اللغة العربية فيها إمكانية التعريب والاشتقاق والمجاز التي يجب أيضاً أن تتفق مع المعايير الموضوعة لها أثناء القيام بعملية اشتقاق أو تعريب أو إيجاز.

هذه هي مرتكزات السياسة الإعلامية الصحيحة، التي يجب أن يبنى ويسير عليها أي إعلام في بلاد المسلمين يهدف إلى إنهاض الأمة الإسلامية، واعادتها أمة كريمة عزيزة رائدة الأمم والشعوب. هذه المرتكزات تشكل مع بعضها البعض التحاماً بين الطاقة العربية المتمثلة في اللغة العربية والطاقة الإسلامية المتمثلة في الإسلام بعقيدته السياسة والروحية وتشريعاته المنظمة للحياة، هذا الالتحام ينتج عنه طاقة إعلامية هادرة جبارة مدوية في كافة الميادين، الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تشكل مع بعضها نهضة الأمة.

إن الأمة الإسلامية التي تتوق إلى نهضتها الصحيحة المستندة إلى مبدئها، وتعيش اليوم إحدى زمجراتها في ثوراتها ضد الحكام الظلمة، وضد الاستبداد والفساد، تفتقر في الحقيقة إلى سياسة إعلامية متميزة، رسمية أو غير رسمية، ترتكز إلى المرتكزات الإعلامية الآنفة الذكر، التي تجعل منه إعلاماً عالمياً شمولياً يتصف بعالمية الأمة وشموليتها، اللهم إلا النذر اليسير من العمل الإعلامي المقتصر على أساليب ووسائل تكاد لا تتجاوز عدد أصابع اليد. هذا العمل الإعلامي المحصور اليوم في فئة من شباب الأمة الذين أخذوا على عاتقهم عمل كل ما بوسعهم عمله في اختراق حصون الحرب الإعلامية المعلنة على مشروع نهضة الأمة الإسلامية. هذه الحرب التي يرسم خططها ويوجهها ويديرها تلك الدول المعادية للإسلام ومشروعه الحضاري النهضوي، وذلك من خلال إعلامه سواء الرسمي منه أو

غير الرسمي، ثم ان هذه الحرب تنفذ في بلاد المسلمين عبر الإعلاميات الرسمية التي أنشأتها الأنظمة القائمة في بلاد العرب والمسلمين، وكذلك الإعلام الذي في ظاهره غير رسمي لكنه يسير في عمله الإعلامي وفقاً للقوانين والمعايير الإعلامية التي وضعتها لها تلك الأنظمة أو الجهات التي تتحكم بأعمال الترخيص والرقابة على الإعلام لدى تلك الدول.

فالحديث عن الإعلام القائم في جميع بلاد المسلمين اليوم، وكل ما يستخدمه من وسائل وأساليب أثناء ممارسته للعمل الإعلامي وتقديمه للمادة الإعلامية، يعني باختصار شديد أنه سلطة رابعة بيد الحاكم ونظامه وأزلامه، مهيمن عليه من الداخل والخارج، موظف لخدمة الرئيس وحاشيته ونظامه وأسيادهم. فهو بشكل عام إعلام شعاراته مخادعة مضللة، لا يهتم بشؤون الأمة ولا يرعى مصالحها، لا يأتي على ما يهم الأمة من أخبار وأعمال نهضوية عظيمة جبارة، بل يكتم تلك الأعمال ويعتم عليها وإن اضطر لعرض بعضها بسبب ضخامتها أتى بها مبتورة وممزوجة بالتلويث والتضليل والتحريف. كل ذلك لأن سياسته الإعلامية مصممة لتخدم كل ما من شأنه إبعاد الأمة عن الاستضاءة بنور العمل النهضوي القائم على أساس الإسلام عقيدة ومنهجاً.

لهذا فإن وجود إعلام متميز، مستغل لجميع الوسائل والأساليب الإعلامية الموجودة والتي يمكن أن توجد بعد، ومسخر لتلك الطاقات الإعلامية الهائلة الموجودة في أبناء الأمة، يحمل قضايا الأمة كلها، وملتزم بهمومها، ويعمل على إنهاضها، بل ويحافظ على نهضتها واستمرارها، إن وجود مثل هذا الإعلام، لا يمكن أن نراه دون أن يكون للأمة كيان سياسي من جنسها، يتبنى سياساته الإعلامية ويضع قواعدها وأسسها وضوابطها وفقاً للقرآن الكريم والسنة النبوية والعقيدة الإسلامية واللغة العربية. عندها يكون ذلك الإعلام مسهماً إسهاماً رئيسياً في تحقيق أهداف الدولة الإسلامية، والتي منها ديمومة نشر الوعي والرقي الفكري والثقافي، القائم على أساس مبدأ الإسلام بين رعايا الدولة الإسلامية، مسلمين وغير مسلمين، أثناء قيام الدولة برعاية شؤون ومصالح الناس بتطبيق الإسلام عليهم داخلياً، وكذلك يسهم ذلك الإعلام في تهيئة الأجواء خارج ثغور الدولة الإسلامية، أثناء قيامها بمسؤولية حمل الدعوة الإسلامية، ونشرها إلى شعوب العالم أجمع بالحجة والبرهان والدعوة والجهاد.❑

بسم الله الرحمن الرحيم

المرأة بين أعلى درجات الرفعة في الإسلام وبين أسفل دركات الرأسمالية والأنظمة الوضعية

سعيد الأسعد – فلسطين

تخرج علينا بين الفينة والأخرى بعض الأقلام المسمومة والأصوات المأجورة للغرب الحاقد على الإسلام كحضارة تعطي المرأة حق قدرها لتنال تلك الأقلام والأصوات من رعاية الإسلام وحفظه للمرأة وتكريمه لها. وتحت عنوان : «المرأة في فلسطين معنَّفة: ضرب وإهانة وجنس بالإكراه وحرمان من الميراث» نشرت وكالة معاً الإخبارية تقريراً بتاريخ ٢٠١٢/٦/٥٢م عن برنامج في لقاء حول هذه القضايا بما يشير إلى درجة الوحشية التي تعيشها المرأة في ظل أنظمة وضعية لا تراعي أدنى حقوق الإنسانية للمرأة، ولكن البرامج هذه فاتها ذكر الأسباب والمسببات، فلم تتطرق لتشخيص الداء على حقيقته، ولم تبين أن سبب أي حال متردٍّ هو سيطرة الأنظمة الوضعية والتي هي من ترقيعات المبدأ الرأسمالي المفروض على الناس، والذي لا ينظر إلى المرأة أكثر من كونها سلعة تستغل استغلالاً قذراً، تلك النظرة الجائرة المبنية على استحقار المرأة والحط من قدرها... وهذه البحوث لم تتطرق إلى تشريعات الإسلام، ولا إلى تاريخ حكمه وتقديره للمرأة، وكيف أنه اعتبرهاأماً وربة بيت وعرضاً يجب أن يصان؛ فالإسلام وحده هو الذي حفظ المرأة واعتبرها عرضاً، وجعل ذلك هدفاً من الأهداف العليا لصيانة المجتمع.

الدعاوى الكاذبة والخاطئة والمتربصة بالإسلام والمرأة:

إن الدعوات إلى تحرير المرأة في بلاد المسلمين وإعطائها كامل حريتها وحقوقها وتحويلها كما المرأة في الغرب ما هي إلا دعوات لأهانتها واستعبادها واستحقارها على كافة الصعد أسرياً ومجتمعياً، في الحالة الفردية وضمن

الجماعة، وما قضية حقوق المرأة إلا دعوى لكشف سترها وإبعادها عن أحكام الإسلام وتوجيهاته.

وللرد على هذه الأصوات وبيان حقيقة الأمر والفرق بين سمو أحكام الإسلام ورفعه للمرأة وبين امتهانها وإذلالها وإهلاكها كما في المبادئ الوضعية وما يدعو لها هؤلاء نعرض ما يلي:

رعاية الإسلام للمرأة وهي بنت:

لقد رعى الإسلام المرأة وأعطاها قدرها من المهد، فكانت وصية غالية وأمانة عظيمة، وقد وعدهم الله الجنة ونعيمها إن أحسن الأهل رعايتها وأدّوا أمانة الله في حقها، فعن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «**من عال ثلاث بنات يكفيهن ويرحمهن ويرفق بهن فهو في الجنة أو قال: معي في الجنة**». وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان له ثلاث بنات فصبر على لأوائهن وسرائهن وضرائهن أدخله الجنة بفضل رحمته إياهن: قال رجل: وابنتان؟ قال: وابنتان، قال رجل: وواحدة؟ قال: وواحدة**». [المصنف كتاب الأدب]. وهذه ميزة للبنت حرص الإسلام عليها كل الحرص -بعدل معالجاته واستقامة أحكامه- مقارنة بما كانت عليه في الجاهلية، فكان رحمة ما بعدها رحمة، وهو ما زال على وصيته وصدق معالجاته في ظل جاهلية ظهر فيها المبدأ الرأسمالي الذي أطلق الحريات الغرائزية البهيميةمما أتاح إطلاق مزيد من الاعتداء والقتل في حق الأطفال من البنات في اعتداءات جنسية يشيب منها الولدان وتشمئز منها جاهلية الأولين من الناس. ما يشير بشكل واضح قاطع إلى مدى حاجة العالم أجمع إلى تشريعات الإسلام واستقامة أحكامه وتطبيق نظامه ،الأمر الذي يوجب على الحقوقيين وكل اللجان التي تدعي الحرص على المرأة وتدعو لحفظ كرامتها أن يحملوا دعوة الإسلام وأن يستنفروا لتطبيقها.

رعاية الإسلام للمرأة وهي شابة راشدة:

لقد ضمن الإسلام للمرأة وهي شابة حقها في العمل بما يمنع استغلال أنوثتها وأحاطها بالحفظ والاحترام؛ فحرَّم عليها أن تعمل عملاً تأكل من خلاله بأنوثتها، بل اعتبرها درة كريمة مصانة لا تحلُّ لغيرها إلا بكلمة الله ووفق أحكامه، وتزف لبيت الزوجية بشكل راقٍ مهيب لتصبح هناك ربة بيت وأماً وعرضاً يحرس ويصان ويفتدى بالنفس، ولتشكل ركناً إلى جانب الرجل لتأسيس عائلة محترمة ومستقرة... وهذا ما يفتقده الغرب كل الافتقاد، حيث نرى بشكل عام كيف أن الأسر مفكَّكة، ونكاد لا نجد شابة عذراء، وإذا ما وجدت فهي تخفي نفسها حتى لا تتهم بأنها معقَّدة...وحيث تستغل أنوثتها أبشع استغلال لجني المال.

الإسلام جعل للمرأة الحق في إبداء الرأي ومحاسبة رأس الدولة:

ومن ذلك أن امرأة حجَّت عمر بن الخطاب في تقدير المهور حتى قال مقالته العابرة للأجيال: «**أخطأ عمر وأصابت امرأة**»

فهذا سيدنا عمر، وهو خليفة وله منصبه وعلمه وقوة شخصيته التي تهابها الرجال، يستمع لامرأة وينصاع لفهمها في تقدير المهور ويقدمه على فهمه لما رأى فيه من وجاهة وقوة حجة بغض النظر عمن تكون هذه المرأة.

المرأة هي وصية النبي ﷺ:

لقد كانت المرأة (ولازالت) وصية نبيّنا ﷺ في حجة الوداع، فعن سليمان ابن عمرو بن الأحوص حدثني أبي أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال: «**اسْتَوْصُوا بالنِّسَاء خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٍ.... أَلاَ وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِى كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ**» سنن ابن ماجة. وقوله: «**إن النساء شقائق الرجال**». وعن أنس بن مالك قال: كان البراء بن مالك رجلاً حسن الصوت فكان يرجز برسول الله ﷺ، فبينا هو يرجز برسول الله في بعض أسفاره إذ قارب النساء، فقال رسول الله ﷺ: «**إياك والقوارير، إياك والقوارير**». فأيُّ رفق وأي تلطُّف ووصاية هذه، فقد استحال نظيرها في الأمم وفي العالمين. فعندما جاء الإسلام أبطل كل ما كان عليه العرب والعجم من حرمان النساء من التملك أو التضييق عليهن في التصرف بما يملكن، واستبداد الأزواج بأموال زوجاتهم، فأثبت لهن حق الملك بأنواعه والتصرف بأنواعه المشروعة، فشرع الوصية والإرث لهن كالرجال، وزادهن ما فرض لهن على الرجال من مهر الزوجية والنفقة على المرأة وعلى أولادها وإن كانت غنية، وأعطاهن حق البيع والشراء والإجارة والهبة والصدقة وغير ذلك. ويتبع ذلك حقوق الدفاع عن مالها كالدفاع عن نفسها بالتقاضي وغيره من الأعمال، وفي المقابل نرى أن المرأة الفرنسية لا تزال إلى يومنا هذا مقيدة بإرادة زوجها في جميع التصرفات المالية والعقود القضائية.

ومما يجدر ذكره أن الإسلام حين كانت دولته تحكم العالم وتسود فيه مثل هذه الأحكام وتعطى المرأة تلك المنزلة كان الإفرنج يعدون المرأة من الحيوان الأعجم أو من الشياطين لا من نوع الإنسان، وبعضهم يشك في ذلك، فجاء الإسلام وفيه قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ وقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ۝١﴾ وما

في معناهما، وكان بعض البشر في أوروبا وغيرها يرون أن المرأة لا يصح أن يكون لها دين، حتى كانوا يحرمون عليها قراءة الكتب المقدسة رسمياً، فجاء الإسلام ليخاطب الرجال والنساء معاً بالتكاليف الدينية بلقب المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات. وكان أول من آمن بمحمد خاتم النبيين ﷺ امرأة، وهي زوجه خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وقد ذكر الله تعالى مبايعته ﷺ للنساء في نص القرآن ثم مبايعته للرجال بما جاء في بيعة النساء. ولما جمع القرآن في مصحف واحد جمعاً رسمياً وضع عند امرأة هي حفصة أم المؤمنين، وظل عندها من عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق إلى عهد الخليفة الثالث عثمان - رضي الله عن الخلفاء الراشدين أجمعين - فأُخذ من عندها واعتُمد عليه في نسخ المصاحف الرسمية التي كتبت وأرسلت إلى الأمصار لأجل النسخ عنها والاعتماد عليها.

وكان بعض البشر يزعمون أن المرأة ليس لها روح خالدة؛ لذلك لا تكون مع الرجال المؤمنين في جنة النعيم في الآخرة - وهذا الزعم أصل لعدم تدينها - فنزل القرآن الكريم ليقول: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ ويقول سبحانه: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ﴾ وفيها الوعد الصريح بدخول الفريقين جنات تجري من تحتها الأنهار.

وكان بعض البشر يحتقرون المرأة فلا يعدونها أهلا للاشتراك مع الرجال في المعابد الدينية والمحافل الأدبية، ولا في غيرهما من الأمور الاجتماعية والسياسية والإرشادات الإصلاحية، فنزل القرآن يصارحهم بقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ وقد عين عمر بن الخطاب الشفاء وهي امرأة قاضية للحسبة.

وكان بعض البشر يحرِمون النساء من حق الميراث وغيره من التملك، وبعضهم يضيق عليهن حق التصرف فيما يملكن، فأبطل الإسلام هذا الظلم وأثبت لهن حق التملك والتصرف بأنفسهن في دائرة الشرع، قال الله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾﴾ وقال سبحانه: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ﴾ ونحن نرى أن دولة الولايات المتحدة الأميركية لم تمنح النساء حق التملك والتصرف إلا من عهد قريب في عصرنا هذا فيما يشير

إلى ترقيعات النظام الرأسمالي الباهت، وأن المرأة الفرنسية لا تزال مقيدة بإرادة زوجها في التصرفات المالية والعقود القضائية، وقد منحت المرأة المسلمة هذه الحقوق منذ ثلاثة عشر قرناً ونصف.

وكان الزواج في قبائل البدو وشعوب الحضارة ضرباً من استرقاق الرجال للنساء، فجعله الإسلام عقداً ورباطاً وثيقاً لقضاء حق الفطرة بسكون النفس من اضطرابها الجنسي بالحب بين الزوجين، وتوسيع دائرة المودة والألفة بين العشيرتين، واكتمال عاطفة الرحمة الإنسانية وانتشارها من الوالدين إلى الأولاد، على ما أرشد إليه قوله تعالى:﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.

ولقد كلَّف الإسلام المرأة والرجل بالتكاليف الشرعية على السواء من غير تفاضل بينهما وذلك باقتسام الواجبات والحقوق بالمعروف، مع جعل حق رياسة الزوجية للرجل لأنه أقدر على النفقة والحماية بقول الله عز وجل في الزوجات:﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾وقد بيَّن هذه الدرجة بقوله تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ فجعل من واجبات هذه القيامة على الزوج نفقة الزوجة والأولاد بحيث لا تكلف منه شيئاً ولو كانت أغنى منه، وزادها المهر إذ المسلم يدفع لامرأته مهراً مفروضاً عليه بمقتضى العقد.

وكان أولياء المرأة يجبرونها على التزوج بمن تكره، أو يعضلونها بالمنع منه مطلقاً وإن كان زوجها وطلقها، فحرم الإسلام ذلك، والنصوص في هذا معروفة في كلام الله وكلام رسوله وسنته. وكان الرجال من العرب وبني إسرائيل وغيرهم من الأمم يتخذون من الأزواج ما شاؤوا غير مقيدين بعدد، ولا مشترط عليهم فيه العدل، فقيَّدهم الإسلام بألا يزيدوا على أربع، وأن من خاف على نفسه ألا يعدل بين اثنين جعل الاقتصار على واحدة.

والطلاق قد يكون ضرورة من ضروريات الحياة الزوجية، إذا تعذر على الزوجين القيام بحقوق الزوجية من إقامة حدود الله وحقوق الإحصان والنفقة والمعاشرة بالمعروف، وكان مشروعاً عند أهل الكتاب والوثنيين من العرب وغيرهم، وكان يقع على النساء منه وفيه ظلم كثير وغبن يشق احتماله، فجاء الإسلام فيه بالإصلاح الذي لم يسبقه إليه شرع ولم يلحقه بمثله قانون، وكان الإفرنج يحرمونه ويعيبون الإسلام به، ثم اضطروا إلى إباحته، فأسرفوا فيه إسرافاً منذراً بفوضى الحياة الزوجية وانحلال روابط

الأسرة والعشيرة. بينما الإسلام جعل عقدة النكاح بيد الرجال، ويتبعه حق الطلاق؛ لأنهم أحرص على بقاء الزوجية بما تكلفهم من النفقات في عقدها وحلها، وكونهم أثبت من النساء جأشاً وأشد صبراً على ما يكرهون، وقد أوصاهم الله تعالى على هذا بما يزيدهم قوة على ضبط النفس وحبسها على ما يكرهون من نسائهم فقال سبحانه: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ على أن الشريعة تعطي المرأة حق اشتراط جعل عصمتها بيدها لتطلق نفسها إذا شاءت، وأعطتها حق طلب فسخ عقد الزواج من القاضي إذا وجد سببه من العيوب الخلقية أو المرضية كالرجل، وكذا إذا عجز الزوج عن النفقة. وجعلت للمطلقة عليه حق النفقة مدة العدة التي لا يحل لها فيها الزواج، وذم النبي ﷺ الطلاق بأن الله يبغضه للتنفير عنه إلى غير ذلك من الأحكام التي بيَّنها في تفسير الآيات المنزلة فيها.

وكذلك بالغ الإسلام في الوصية ببرِّ الوالدين فقرنه بعبادة الله تعالى، وأكد النبي ﷺ فيه حق الأم، فجعل برَّها مقدماً على برِّ الأب، ثم بالغ في الوصية بتربية البنات وكفالة الأخوات، بأخص مما وصى به من صلة الأرحام، بل جعل لكل امرأة قيِّماً شرعياً يتولى كفايتها والعناية بها، ومن ليس لها ولي من أقاربها وجب على أولي الأمر أن يتولوا أمرها.

كذلك فقد أكبر الشرع الإسلامي المرأة وأكرمها كلما كبر سنها، وجعل الجنة تحت أقدام الأمهات. وإن الأمهات من الجدات في الإسلام لهن صدور البيوت وأحسن المجالس وأطيب الطعام وتقبيل الأيدي والرأس وحسن الخدمة وكبير الاحترام والتنعم وخفض الجناح والدعوة لهنَّ في السجود وبين السجدتين وفي أدبار الصلوات... ولعمر الحق، إنه إن كانت المرأة يكرمها الأبناء أو الإخوة والأهل، فإنها، في الإسلام تكرم أكثر وهي جدة، وذلك بخلاف أنظمة الطاغوت من شرائع الغاب الرأسمالية وأضرابها فإن مصير الجدات هي مآوي العجزة حيث الملل والقهر والضغط النفسي ولسان الحال أنهن أصبحن عالة على المجتمع هناك، ويضيق ذرعاً بهم الأبناء والأحفاد، يحجزن ويحبسن كالمجرمين، ويحجر عليهن كالمرضى السلبيين، فهل هناك ما هو أشد ظلماً من هذا؟! وجملة القول: إنه ما وجد دين ولا شرع ولا قانون في أمة من الأمم أعطى النساء ماأعطاهنَّ إياه الإسلام من الحقوق والعناية والكرامة.

هذه هي حقائق الإسلام في رعاية المرأة من مهدها إلى لحدها تشع نوراً وتعلو فخاراً وتفضح خزي الأنظمة الوضعية ودعاوى الناعقين المزينين لقبحها ممن يتسمون بلجان حقوق

وكتّاب ومفكرين ومنظّرين. وإن كثيراً من تلك المؤسسات تعمل لتخريب الجيل ولإفسادهم ضمن أجندات دولية. وفي هذا الصدد نقلت وكالة معاً الإخبارية تقريراً عما قاله : بسام زكارنة رئيس نقابة العاملين في الوظيفة العمومية بتاريخ ٢٠١٢/٧/١م: «إن بعض مؤسسات المجتمع المدني أوكار للموساد وللمخابرات العالمية هدفها تدمير المجتمع الفلسطيني وتفكيكه» وقال زكارنة «إن مسؤولين إسرائيليين على تواصل مع هذه المؤسسات وتقودها بشكل مباشر من خلال بعض المسؤولين فيها أو بشكل غير مباشر من خلال أجهزة مخابرات عالمية بحيث إن ٨٠ بالمئة من هذه المؤسسات يؤدي الدور بفعالية مطلقة، ويساهم ببث الفتنة وسرقة أموال الشعب الفلسطيني». وبين زكارنة: «إن دور هذه المؤسسات الأهلية ينحصر في البحث عن أي قضية داخلية وإثارتها مثل قضايا فساد وحقوق الإنسان والديمقراطية وهي مفبركة أو تم علاجها بعيداً عن الفاسدين المتعاونين مع تلك الأجهزة بحيث لا تساهم في تقوية المجتمع وإنما تفتيته». http://www.maannews.net/arb/ViewDetails.aspx?ID=500178.

وإننا فوق هذا فقد وجدنا في الجدول المرفق للهيئة المستقلة لحقوق الإنسان (ديوان المظالم) في مناطق السلطة الفلسطينية كيف أن عدد الاعتداءات وحتى القتل على خلفية شرف العائلة هو أقل القليل، وهناك فرق شاسع بينه وبين أي قضايا جنائية أخرى، أو حتى ضحايا حوادث السير، فلماذا يكون هذا الاستهداف للتشهير بالمجتمع المحافظ الذي يكرم المرأة لتأثره بالإسلام تأثراً منقوصاً ولا يعيشه عيشاً كاملاً في دار الإسلام وفي دولة الخلافة التي تعد الحصن الحصين الحامي للمرأة؟!.

وضع المرأة في الغرب بلغة الأرقام

أولاً:في تقريره السنوي الذي قام بإعداده فريق متخصص برصد أحوال المرأة في العالم الغربي، ذكر «معهد المرأة» في إسبانيا — مدريد، مجموعة من الإحصاءات المذهلة:

- في عام ١٩٩٠م قدّم ١٣٠ ألف امرأة بلاغات بالاعتداء الجسدي والضرب المبرح من قبل الرجال الذين يعيشون معهن، سواء كانوا أزواجاً أم أصدقاء .
- ويقول أحد المحامين: إن الشكاوى بالاعتداء الجسدي والضرب المبرح بلغت عام (١٩٩٧م) ٥٤ ألف شكوى، وتقول الشرطة: إن الرقم الحقيقي عشرة أضعاف هذا العدد.
- وفي عام ١٩٩٥م خضع مليون امرأة لأيدي جراحي التجميل، أي بمعدل امرأة من كل ٥ نساء يعشن في مدريد وما حولها.
- كما أن هنالك بلاغًا يوميًّا عن قتل امرأة بأبشع الطرق على يد الرجل الذي تعيش معه.

ثانياً: الولايات المتحدة الأميركية:

- في عام ١٩٨٠م (١,٥٥٣٠٠٠) حالة إجهاض، ٣٠٪ منها لدى نساء لم يتجاوزن العشرين عاماً من أعمارهن، وقالت الشرطة: إن الرقم الحقيقي ثلاثة أضعاف ذلك.
- وفي عام ١٩٨٢ م: (٨٠٪) من المتزوجات منذ ١٥ عاماً أصبحن مطلقات.
- وفي عام ١٩٨٤م: (٨ ملايين) امرأة يعشن وحدهن مع أطفالهن ودون أية مساعدة خارجية.
- وفي عام ١٩٨٦م: (٢٧٪) من المواطنين يعيشون على حساب النساء.
- وفي عام ١٩٨٢م: (٦٥) حالة اغتصاب لكل ١٠ آلاف امرأة.
- وفي عام ١٩٩٥م: (٨٢) ألف جريمة اغتصاب، ٨٠٪ منها في محيط الأسرة والأصدقاء، بينما تقول الشرطة: إن الرقم الحقيقي ٣٥ ضعفاً.
- وفي عام ١٩٩٧م بحسب قول جمعيات الدفاع عن حقوق المرأة : اغتصبت امرأة كل ٣ ثوان، بينما ردت الجهات الرسمية بأن هذا الرقم مبالغ فيه في حين أن الرقم الحقيقي هو حالة اغتصاب كل ٦ ثوان!
- وفي عام ١٩٩٧م: (٦) ملايين امرأة عانين سوء المعاملة الجسدية والنفسية بسبب الرجال، ٧٠٪ من الزوجات يعانين الضرب المبرح، و٤ آلاف يقتلن كل عام ضرباً على أيدي أزواجهن أو من يعيشون معهن.
- ٧٤٪ من العجائز الفقراء هم من النساء، ٨٥٪ من هؤلاء يعشن وحيدات دون أي معين أو مساعد.
- ومن ١٩٧٩م إلى ١٩٨٥م: أجريت عمليات تعقيم جنسي للنساء اللواتي قدمن إلى الولايات المتحدة من أميركا اللاتينية، والنساء اللاتي أصولهن من الهنود الحمر، وذلك دون علمهن.
- ومن عام ١٩٨٠م إلى عام ١٩٩٠م: كان في الولايات المتحدة ما يقارب مليون امرأة يعملن في البغاء.
- وفي عام ١٩٩٥م: بلغ دخل مؤسسات الدعارة وأجهزتها الإعلامية ٢٥٠٠ مليون دولار .

يشار إلى أن هذا التقرير السنوي المسمى بـ "قاموس المرأة" صدر عن معهد الدراسات الدولية حول المرأة، ومقره مدريد، وهو معهد عالمي معترف به. وتحت عنوان: "العنف المدني، مشكلة اجتماعية منتشرة في أميركا." ذكرت منظمة الكومنولث في استطلاع ١٩٩٨م أنه تقريباً "ثلث النساء الأميركيات، تعرضن لمضايقات جسدية أو جنسية من الزوج أو الصديق، خلال فترة من حياتهن". وذكر المعهد الأميركي للعدل أنه تقريباً "٢٥ بالمائة من النساء الأميركيات اغتصبن، و/أو تم الاعتداء عليهن جسدياً"، من رفيق سابق أو حالي، أو خلال أحد المواعيد.

وذكر مكتب العدل الأميركي أنه خلال العام ٢٠٠٠م تعرضت ٥٨٨٤٩٠ امرأة للضرب (لعنف لم يؤدِّ لإصابات)، من الشريك الحميم (المقرب). وتشير التقديرات إلى أن ١٨٪ من مجموع النساء في الولايات المتحدة الأميركية تعرضن للاغتصاب، وأن ١٩٠٠ فتاة يومياً يتم اغتصابهن، وهذه النسبة تشكل رقماً كبيراً خاصة إذا نظرنا إلى أن نسبة العلاقات غير الشرعية مرتفعة جداً، وأن أكثر من ٥٪ من الزوجات يخنَّ أزواجهنَّ من باب المعاملة بالمثل. علاوة على ذلك فإن ٢٪ من حالات الاغتصاب المذكورة تكون من الأب أو أحد أفراد الأسرة. **وتشير مصادر أخرى إلى ارتفاع هذه النسبة إلى ٢٢٪ من مجموع النساء في الولايات المتحدة الأميركية اللائي يتعرضن لحوادث الاغتصاب، وهذا يجعل الولايات المتحدة الأميركية الدولة الأولى في العالم من حيث معدلات الاغتصاب الواقعة على النساء.** ونشير هنا أيضاً إلى أن ما مجموعه ٤٧٪ من حالات الاغتصاب المذكورة كان يصاحبها اعتداء جسدي شرس وعنيف بالضرب ونحوه كما نشرت ذلك صحيفة ال "يو إس توداي".

وهذه النسب المذكورة لا تشكل إلا ما تم الإبلاغ عنه من جرائم الاغتصاب، وأما ما لم يتم تسجيله أو الإبلاغ عنه فإنه أكبر بكثير من الرقم المذكور، وتشكل هذه الجرائم أكثر من عشرين ضعفاً من مثيلاتها في كل من اليابان وإنجلترا وإسبانيا مع مراعاة أن الدول السابقة دول شعوبها غير متدينة بعكس الولايات المتحدة الأميركية فإن شعبها متدين وبنسبة كبيرة.

وقد نشرت مجلة الطب النفسي الأميركية تقارير تفيد بأن ما نسبته ٤٢٪ من النساء العاملات في الولايات المتحدة الأميركية يتعرضن للمضايقات والاعتداء الجنسي، ومن أشهر القصص في هذا المجال قصة أحد أعضاء الكونغرس الأميركي عندما قامت إحدى العاملات معه بشكايته لأنه قام بالتحرش بها جنسياً، وبعد اشتهار أمره تقدمت أكثر ٢٦ امرأة بشكاوى تفيد أنه مارس معهنَّ التحرش. كما نشرت منظمة التحالف الوطني المنزلي في أميركا تقارير تفيد بأن أكثر من سبعة ملايين امرأة يتعرضن للضرب من قبل الأزواج ولا يقمن بإبلاغ الشرطة، ويدخل مئات الآلاف منهن سنوياً إلى المستشفيات لتلقي العلاج من آثار الضرب، وهي حالات مختلفة بعضها خفيف وبعضها قوي جداً وقد يصل إلى القتل. وتشير تقارير ودراسات أخرى إلى أن ٩٥٪ من ضحايا العنف العائلي هم من النساء، وأن من بين كل أربعة حالات اعتداء على المرأة يكون الزوج هو

المعتدي في ثلاثة حالات منها.

الخلاصة:

١- لقد رعى الإسلام المرأة في التشريع والتوجيه والتنفيذ من مهدها وفي شبابها إلى شيخوختها، واعتبرها شقيقة الرجل، ولها دور مهم ومفصلي على صعيد الأسرة والمجتمع واستقامتهما وارتفاع بنيانهما، فهي أم وربة بيت وعنصر إيجابي فاعل. وقد منع بشكل قاطع النيل منها أو استغلال أنوثتها وجعلها عرضاً يجب أن يصان. وقد أعطاها من الحقوق كما أعطى الرجل سواء بسواء إلا ما يختلفان فيه من ناحية فطرية.

٢- لقد سجل التاريخ والحاضر بأن جميع المبادئ والتشريعات البشرية قد وضعت المرأة في أسفل الدركات ظلماً واستهانة واستضعافاً، ولا زال الخط البياني يرتفع بأرقام قياسية في هضم حقوقها والاعتداء عليها، وما الترويج لحرية الغرب ومناداته بحقوق المرأة إلا ذراً للرماد في العيون وتزييفاً للحقيقة المذهلة عن جرائمه.

٣- هناك دعاوى لا سيما في العالم الإسلامي من لجان حقوق ومؤسسات نسوية وكتاب ومفكرين للنيل من عفاف الأسرة المسلمة من أجل تدميرها وإشاعة الانحلال الذي يدعو له الغرب في بلاد المسلمين حتى تعم مثل تلك الفوضى الحاصلة في المجتمعات الغربية وتصبح مجتمعاتنا أسوأ حالاً، وذلك من خلال دعوة المرأة لأخذ الأمر على عاتقها وتجاوز الرجل وحرمانه من قوامته عليها، والتعامل معه بالندية والمنافسة لا بالتفاهم والمودة والرحمة التي دعا لها الإسلام، وقد تبين أن الكثير من هذه المؤسسات لها ارتباطات واضحة في النشوء والتمويل بالدول المعادية للإسلام لتحقيق مآربها وشرورها في بلاد المسلمين ضمن مخططات إعادة رسم المعادلة لتخدم بقاء الغرب جاثماً على بلاد المسلمين ولا سيما بعد الثورات التي قامت في بلاد المسلمين من أجل قلعه وإعادة الاعتبار للإسلام كنظام شامل لكافة مناحي الحياة.

٤- هي دعوة نوجهها لكل عاقل في العالم، ولكل من يحرص على المرأة كإنسان مثلها مثل الرجل، ولها الحق في عيش وافر كريم، بأن تنصب الدعوات والجهود لإعادة الاعتبار للنظام الاجتماعي في الإسلام والدعوة والمطالبة بتطبيقه لإحقاق الحق والعدل ولرفع مكانة المرأة إلى أعلى درجات الرقي الإنساني دون أي امتهان أو انتقاص أو عدوان

قال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ﴾ ❑

بسم الله الرحمن الرحيم

دور الأحزاب السياسية في حياة الأمة

صادق محيي الدين–الجزائر

أقسى ما يمكن أن يصيب أمةً في حياتها هو تخلِّيها عن مبدئها لأنه هو وجودها وهويتها. وأسوأ ما يصيبها في معترك السياسة الدَّولية هو ذهاب دولتها وذهاب وحدتها. فإن كانت الدولة موجودةً كان للأمة وجود في المعترك الدَّولي وإلا فلا.

والوضع الطبيعي للأمة الإسلامية هو أن تعيش حياةً إسلاميةً. ومعنى هذا الكلام هو أن تكون القوامةُ بمعنى رعايةِ الشأن العام منوطةً فيها بدولة تقوم على أساس العقيدة الإسلامية، وهي دولة الخلافة وليست شيئاً آخر. وتتولى الدولةُ بطبيعة وظيفتها تطبيقَ جميع أحكام الشريعة داخلياً وخارجياً، معتمدةً في التنفيذ على مدى تقيد الأفراد بالأحكام الشرعية في المجتمع، وعلى مدى شعور الناس بسمو وعدالة الإسلام، وفي الوقت نفسه على قوة السلطان لديها. وهذا هو معنى أن تكون الحياة إسلاميةً. وبذلك تستقيم شؤونُ الأمة الإسلامية جميعاً في ظل الإسلام، ويسعد الناس في الدنيا والآخرة.

أما حالة الاستثناء في الأمة الإسلامية فهي عدم وجود هذه الدولة، كما هي الحال الآن، مع كون معظم الناس مسلمين! وهذه حالةٌ لم تُجرِّبها ولم تدخل فيها الأمة إلا مؤخراً، وهي حالة شاذة للغاية لا يمكن أن يستقيم فيها أو معها شأنٌ واحدٌ من شؤون الأمة، لا في الأمور الداخلية ولا في العلاقات الخارجية، بل تكاد تكون هذه الحالةُ حالةَ تعطلٍ تام. وهي تشبه حالةَ الطوارئ عند النوازل، ويُفترض أن تستنهض الجميعَ من أجل التغيير - إذا لم يتبلد الإحساس! ولا يمكن للجماعة في هذه الحالة الاستثنائية ولا للفرد أن يؤدي دوره المحمودَ في الحياة مهما بذل من جهدٍ، وفي أيِّ اتجاه، **إلا على سبيل العمل الدؤوب من أجل تصحيح الوضع، بإقامة دولة الخلافة، لكي يعود القطار إلى السكة وتعود المياه إلى مجاريها.** وكل ما عدا ذلك مما يقوم به الأفراد أو الجماعات **في طريق الترقيع أو الإصلاح أو للالتفاف على الواقع** يكون إما ثانوياً

أو جانبياً.

ولما كانت الشريعة الإسلامية حاكمةً على الزمان والمكان وليس الزمان حاكماً عليها، ولا المكانُ، فزعَ أرباب العقول من أبناء الأمة من أهل العلم والفهم إلى استنطاقها قرآناً وسنةً فوجدوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ من أولِ يوم في مكةَ **يستهدف تغييرَ المجتمع تغييراً جذرياً من الأساس** على جميع الصُّعد، إذ كان مدار حياةِ قريش وقتذاك على ما كان في مكة أمِّ القرى من ثقلٍ سياسي وثقافي واقتصادي واجتماعي بوصفها مقر الآلهة، وموطنَ رؤوسِ الشرك، ومكانَ عبادةِ الأوثان، ومحط أنظارِ العرب، ومركزَ تجارةِ المواسم، وغير ذلك. وكان عمله صلى الله عليه وسلم عملاً جماعياً من أول يوم، إذ كان يكتل الناس من حوله من أجل التصدي لبنية المجتمع برمته، **وكان طبيعياً أن يبرز على دعوته تصديه لعقيدة الشرك وما نتج عنها من نظم، لأنها هي أساس المجتمع، وهذا هو موضع التأسي**، ولم يقبل من زعماء مكة أيَّ حل وسط يُبقي على النظام القائم آنذاك رغم كل الإغراءات والمساومات والمحاولات، ورغم كل الدعايات والإشاعات والمضايقات.

ولما كانت السياسة هي الرعاية والاهتمام بالشأن العام، **فإن الحزب السياسي (أو الأحزاب السياسية) في الإسلام ليست شيئاً غير هذه أو تلك الجماعة المؤمنة المتكتلة على أساس الإسلام الذي هو الخير كل الخير، والدعوة إليه بوصفه عقيدةً سياسيةً ونظاماً يحكم الحياة**، وكان العمل السياسي من أجل عودة الإسلام إلى معترك الحياة (في هذا الزمان الذي غابت فيه دولة الإسلام) من أعظم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير، وهو الأمر الذي جاء في الآية ١٠٤ من سورة آل عمران حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ والناظر في الآية الكريمة يجد فيها ستةَ أمور:

١- وجوب العمل، أي **كون المطلوب في الآية فرضاً**. حيث إن صيغة الأمر في النص للوجوب باتفاق، وأنه من فروض الكفاية. والمقصود هو إيجادُ وإقامة التكتل الذي يدعو إلى الإسلام ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

٢- أن يكون العمل **جماعياً**: أمةٌ يدعونَ إلى الخير.

٣- أنَّ التكتل لابد أن يكون **سياسياً**، أي أن يستهدفَ الحكم ويهدف إلى أن تكون الرعايةُ العامة في الأمة وفقَ أحكام الشريعة. ذلك أن أعظم منكر هو تعطيلها من طرف الحاكم، إذ هو

صاحب الولاية العامة على الناس. فيلزم شرعاً أن يكون اهتمام التكتل أو الحزب شاملاً نواحي الحياة جميعاً. ولا يصح أن يكون مقتصراً على جانبٍ من حياة الأمة دون آخر، كأن يكون مثلاً تكتلاً خيرياً أو تعليمياً أو أخلاقياً يعالج أو يسعى لمعالجة بعضِ المفاسد المترتبةِ على مفاسدَ أكبر منها أو الناجمةِ في الأساس عن إبعاد الإسلام ككلٍّ عن الحكم، لأن ذلك يطمس الحقيقةَ ويغطي على منبع الفساد الأول. علماً أن قيام الأفراد بمختلف أنواع الخير والبر عموماً أمرٌ مطلوب مطلقاً.

وهنا مفارقة عجيبة: يظن كثير ممن في قلبه وعقله شيء من مرض فصل الدين عن الحياة الخبيث الذي وفد إلينا من الغرب العدو الحاقد، مع حملة الغزو الاستعماري الثقافي والسياسي والعسكري، أنَّ جعلَ الجماعةِ أو التكتل سياسياً هو قصر له على جانبٍ من الإسلام دون آخر. ذلك أن فصلَ الدين عن الحياة نتج عنه في عقول هؤلاء طبيعياً فصلُ الدين عن السياسة، وفصله عن الدولة، وأنتج في قلوبهم تضاداً في الشعور وفي اللاشعور بين الدين والسياسة، فصاروا طبيعياً ينفرون من الأحزاب السياسية، وصاروا ينفرون ويفرُّون من السياسة متمسكين في زعمهم بالدين. كما صارت السياسةُ عند كثير من أبناء الأمة الإسلامية - قياساً على ما حصل في الغرب من معنى ومن تطبيقٍ للسياسة - لا تعني سوى الانفلات من الدين من أجل خدمةِ وتحقيق المصالح عبر كل الوسائل. **والحقيقة هي أن كون التكتل سياسياً هو الضمانة الشرعية والحقيقية أن يشمل اهتمامُ المهتمين وعملُ العاملين فيه نواحي الحياة جميعاً في الأمة، وليس العكس**. لا فرق بين ما هو من شؤون الحكم أو الاجتماع أو التعليم أو الاقتصاد أو غير ذلك، فكله من الدين. ذلك أن الإسلام دين منه الدولة، وليس ديناً مفصولاً عن الدولة، وأن الحزب السياسي عملُه فكريٌّ وسياسيٌّ ينصبُّ على رعاية شؤون الأمة جميعاً بالإسلام، وحرصُه شديدٌ على أن تكون وفقَ ما جاء في الكتاب والسنة، فهو يشمل كافةَ مجالاتِ الحياة لا يتخلف عنها واحد! أما العلمانية فهي نوعٌ من أنواع الشرك، لأنها لا ترضى أن تُسيَّر الحياةُ وفق أوامر الله ونواهيه، فهي تتناقض مع الإسلام كلياً وفي الأساس، ولا يدين بها إلاَّ هالك.

٤-جواز **التعدد** من مفهوم الآية لا من منطوقها، حيث إنها تطلب التصدي لهذا الشأن **على الأقل من جماعةٍ واحدةٍ من المسلمين**، ليسقط الإثم عنهم وعن غيرهم، وإلا تكن فتنةٌ في الأرض

وفسادٌ كبير. فلا مناص إذاً من تعددها - إن لزم - ومضاعفة الجهود حتى تحصل الكفاية (كما تجدر الإشارة إلى أن «من» في الآية الكريمة تبعيضية عند أهل التفسير).

٥- **وجود هذه التكتلات السياسية مطلوبٌ أن يكون حالةً دائميةً** للأمة بحيث لا يجوز شرعاً خلُوُّها منها في جميع أوضاعها وتقلباتها. هذا جزء هنا من معنى كون الواجب واجباً.

٦- يجد المدقق في الآية أيضاً أنه **لا يحتاج إنشاءُ حزب سياسيٍّ في الأمة إلى إذن الحاكم** مطلقاً في حال وجود الدولةِ الإسلامية، ومن باب أولى في حال عدم وجودها. ذلك أن إقامة ما أوجب اللّه لا يجوز أن يمنعه أو يعترضَه أحد من البشر، كما لا يصح أن يُستأذن فيه الخلق.

إلا أن المدقق أكثر في معنى الآية يرى أمراً آخر **مهماً وأساسياً** لا يراه كثير ممن يقرؤونها ويمرُّون عليها، وهو أنه

٧- **لا يصح ولا يتأتى لمقلِّد لا يقدر على الاستنباط من النصوص الشرعية أن يؤسس حزباً سياسياً في الأمة!** ولا أن يستمر هذا الحزب - لو حصلت بالفعل نشأته كأمر واقع - بأمثاله. بل يجب أن يكون على درجةٍ من العلم ولو في الدرجة السفلى من المقدرة على الاجتهاد والنظر وتنزيل الأحكام على الوقائع والأحداث في الواقع المعقَّد والمتغير والمتشعب، خصوصاً في حالة انحطاط الأمة ومرضها. ذلك أن فقهَ الأولين من السلف لم يتضمن **بشكل مفصلٍ** علاجَ حالة عدم وجود دولة الخلافة وذهاب الحكم الإسلامي، وقلما تناول العلماءُ مشكلةَ وحالةَ ضياع سيادةِ الشرع وسلطانِ الأمة معاً، وإلا لكفانا فقهُهم أو ربما بعضُه على الأقل حلَّ المعضلة بالاتباع دون الاجتهاد. فيلزم من هذا أن على العاملين الآن لتصويب وضع الأمة النظرُ في النصوص الشرعية كتاباً وسنةً وفي السيرة النبوية وسيرة الصحابةِ من أجل الاستنباط، وهو ما لا يتأتى لأهل التقليد. يلزم منه أيضاً الحذرُ من فقه مرحلة الانحطاط ولاسيما ما بعد ذهاب دولة الخلافة أي فقه المحدَثين من غير العلماء المجتهدين، حتى وإن كانوا مخلصين للأمة، لأنه لا يخلو من تسلط غلبة الغالب — وهو الغرب الحاقد - على فكر وثقافة المغلوب. فما بالك بفقه الدوائر الحكومية العلمانية في دول التَّبعية، وما بالك بفقهِ زبانية حكام العمالة والخيانة وأبواقهم من «العلماء» المأجورين الذين لا فقه لهم سوى تفسير النصوص وخلط الأمور بما يُبقي على الوضع القائم ويطيل مرحلةَ هيمنة الكافر على بلاد المسلمين، وهو

ما نراه اليوم بالفعل ماثلاً أمام أعيننا من محاولات لتسويق إسلام مصمم ومطروز في دوائر الغرب. ولا يزال الأعداء يحاربون الإسلام والمسلمين بهذه الطريقة حتى يهيئ الله لهذه الأمة من أمرها رشداً، فيأتي نصر الله وتقوم الخلافة. لذا صار لابد من فقه وعلم وفهم العلماء المجتهدين الصادقين الواعين العاملين المخلصين.

فبطبيعة النشأة والوظيفة ينبغي أن يكون عالماً مجتهداً من أهل الدراية لتتحقق به وبأتباعه الكفايةُ، حيث ينبغي لمن يُقْدم على المحاسبة خصوصاً في واقعنا اليومَ ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أن يكون عالماً بالمعروف معروفاً وبالمنكر منكراً. كما أن العلمَ بالشرع هو الكفيل بتحديد المنكرات ومراتبها وأنواعها، وأيها أولى بالتغيير وكيف، وهذا مقرر في شرائط القيام بهذه الفريضة العظيمة في الفقه. كما أن هذا الحزب الذي أنشأه عالمٌ من علماء الأمة مجتهدٌ لا يصح أن يستمر ويشتغل في الأمة بغير أمثاله! كما وأن العلم والاجتهادَ في أصل النشأة يُجنِّب الحزبَ ابتداءً الخطأَ والزللَ في أصل الفكر القائم عليه ويقيه المراجعاتِ والتراجعاتِ مستقبلاً.

إلا أن هذا لا يعني أنه لا يجوز لآحاد الأمة القيامُ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مطلقاً، كلٌ حسب درجةِ علمه واستطاعته، **لأن الكلامَ هنا عن إنشاء وتأسيس تكتلات سياسية تتصدى للشأن العام وتعمل على تولي الحكم، وليس عن تغيير مطلق منكر**، فهذا الأخير وإن تَطلَّبَ علماً إلا أنه منوطٌ بالاستطاعة ومحلُّ تفصيل في الفقه الإسلامي. وهنا تجدر الإشارة إلى أن في الشريعة الإسلامية طريقة متعينة في أخذ الحكم وهي - في حال عدم وجود الدولة، كما هي الحال الآن، وكما هو معلوم من فعل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم - طلبُ نصرة أصحابِ القوة وأهل المنَعة كقادة الجيوش والزعماء باعتبارهم أهل القدرة والاستطاعة على هذا المستوى الرفيع والجليل من أعمال الأمر بالمعروف وأعمال تغيير المنكر، ألا وهو إقامة دولة الإسلام وسلطان المسلمين.

والأحزاب السياسية تنشأ طبيعياً في الأمة الحية بالعلماء العاملين لأنهم هم الحريصون والعليمون بكيفية سير الأمور في المجتمعات، وبمدى مطابقتها لنظام الإسلام وشريعته. وهؤلاء طبيعياً لهم أتباع يفهمون فهمَهم، ويتحركون مثلهم وعلى منوالهم. والحاصل أن الأمة الحية لا يمكن ولا يجوز أن تخلو من المجتمعين على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أي من الأحزاب السياسية، فهم علامة الحياة فيها، وهم نبض الحيوية والخير، وهم ليسوا - على

تنوعهم واختلافهم داخل دائرة الإسلام- علامةَ تفرق وتشتتٍ كما يراد لنا أن نعتقد.

ولا يقتصر دور الأحزاب على المحاسبة بمعنى الرقابة وتصحيح الأخطاء إن وقعت، بل يشمل جميع أنواع الحرص والمحاسبة والقوامة والرعاية بالتوعية والنصح للراعي والرعية، بما يضمن الرقيَّ ودوامَ الارتقاء في الفكر والحس وحسنَ تطبيق الشريعة، ويضمن مكانةَ المسلمين ومكانة دولتِهم في العالم، كما يضمن تفوقَهم فكرياً وسياسياً واقتصادياً وحضارياً، ويحول بين الأمة الإسلاميةِ والهبوط، ناهيك عن السقوط.

والعالم إذا كان عامِلاً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، داعياً إلى الخير، فثقافته بطبيعتها سياسية تعالج الواقع وليست أكاديمية، وحتما سيُكتِّل الناسَ من حوله، وحتماً سيكون له من يؤازره ويؤيده، يقول قولَه ويعمل عملَه، فهو حزب سياسي.

والأحزاب السياسيةُ في الأمة الإسلامية في حال النهضةِ ووجود الدولةِ هي القَوَّامة على المجتمع، وهي التي تعمل بين الناس دون كللٍ ولا ملٍ للحيلولة دون انتكاسته، كما تحاسب الحكام على الرعاية على أساس الإسلام وعلى أكمل وجه. **أما في الحالة الشاذة الاستثنائية - وهي حالة الأمة بدون خلافة! - فينبغي ألا يكون لها من عملٍ سوى العمل على إقامتها، لأن ذهابَ الدولة الإسلاميةِ، والتي هي الخلافة، معناه ترك الإسلام عملياً، وهو رأس جميع المفاسد والمنكرات، وهو سبب تعطل الحياة عند المسلمين. وهو سبب الضياع والتشتت والذل، وعلةُ غياب المسلمين الرهيب عن الساحة الدولية، على كثرة عددهم، وسبب توقف حمل رسالةِ الإسلام إلى العالم على الوجه المطلوبِ شرعاً.**

من هنا وجب التركيز في العمل على إقامتها بالعمل السياسي على أساس الإسلام، أي بالدعوة إلى الإسلام وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على أعلى مستوى، وإلا فأحوال المسلمين في طول البلاد الإسلامية وعرضِها سوف تزداد تحت هذه الأنظمة التي أنشأها الكافر المستعمر مع الوقت سوءاً، وأوضاعهم على كافة المستويات سوف تزداد في ظلها مع الأيام تعقيداً.

والخلافة هي نقطة الانطلاق في عودة الأمة إلى سابق عزها ومجدها. وهي ليست نهايةً يصادفها أو يلتقي معها المسلمون في آخر الزمان، وإنما هي بداية وحالة دائمية يجب شرعاً أن تكون، لأننا مسلمون والحمد لله، ولا ينبغي لنا شرعاً أن نعيش حياة غير إسلامية كما هي الحال الآن.❑

بسم الله الرحمن الرحيم

في مواجهة عودةِ الخلافة: نموذجُ الجزائر
(الوجه الجديدُ للاستعمار في دولِ التَّبعية)

طاهر ف. عبد العليم–الجزائر

تشهدُ الجزائر خلالَ هذه السنوات الأخيرة – أي منذ ما يربو على عقدين تقريباً (إلى غاية هذه اللحظة٢٠١٢م) – حرباً خفيةً وأخرى معلنةً يقودها النظامُ على الإسلام، في سباقٍ مع الزمن من أجل إبعاد فكرة الدولة الإسلاميةِ عن الأذهان، ومن أجل الحيلولة دون عودةِ الناس للمطالبة مرة أخرى بتطبيق الشريعة الإسلامية. ويظهر جلياً من تصرفاتِ ومن تصريحات مَنْ بيدهم أمورُ البلد أنهم أجمعوا على ألا يكرروا أخطاء الماضي، في إشارةٍ إلى فتح المجال السياسي، لأن ذلك لن يقودَ - بحسب التجربة (في ١٩٨٨م) - إلا باتجاه تحكيم الإسلام وظهور المناوئين للسلطة في اتجاه المطالبة بالحكم بالإسلام، لا في غيره من الاتجاهات.

فلا الديمقراطية نجحتْ، ولا التعدديةُ السياسية أفلحتْ في احتواء القوى السياسية المختلفة، كما كان يأملُ أصحابُ القرار، فكان أن جاءت الأوامر مبكراً من وراء المتوسط بوجوب غلقِ المجال، وبوجوب المحافظة على الديمقراطية الشكلية في الواجهة كحل وحيد للالتفاف على مطالب الشعب المسلم، وللإبقاء في ذات الوقت على النفوذ الأوروبي، وذلك ببقاء النظام الحالي في البلد قائماً، وبقائه - في ذات الوقت - بعيداً عن التدخل الأميركي تحديداً. وهذا ما كان - لاسيما بعد فترة القمع الدموي أو بالأحرى منذ ١٩٩٥م.

وتتجلى مظاهر خطة صرف الناس عن التفكير بوجوب عودة الإسلام إلى الحكم، خاصة مع مجيء بوتفليقة في ١٩٩٩م رئيساً للبلاد باتفاق مع الجيش، تتجلى في صراع ناعم تدور فصولُه إلى اليوم حول المحاور التالية، التي يحتاج كل واحدٍ منها إلى تفصيلٍ ليس هو مبتغانا في هذا المقام:

١- **تفكيكُ وتفتيت وتعفين الوسطِ السياسي والنقابي والجمعي** (نسبةً إلى الجمعيات) بالحظر وبالإغراءات والمضايقات، مع السيطرة الكاملة على الساحة السياسية وعلى كل وسائل الإعلام.

٢- **تفعيلُ دور وزارة الشؤونِ الدينية والأوقاف** (كما تسمى) في ضبط كل ما يتعلق بالمساجد، وكذلك في ضبط ومراقبةِ كل ما يُستورد من الكتب عامةً، والمستجلبةِ عبر المعارض خاصة، مع تشجيع التدين العلماني الأعمى على شاكلة من يحافظُ على الصلوات الخمس (و هذا مطلوب وواجب) ولكن يطيع حكامَ الأمر الواقع من توابع الغرب الحاقد باعتبارهم أولياء الأمور الشرعيين ولا يتدخل مطلقاً فيما هو من الشأن العام، بمعنى أنه يعزف عزوفاً تاماً عن السياسة. كذلك بعثُ الطرق الصوفية وزواياها وإمدادُها بالمال، قصدَ تأطيرِ أكبر عدد ممكن من مريديها ومن عامة الناس من خلالها، واستخدامِهم عند الحاجة بواسطة شيوخهم. يضافُ إلى ذلك الإشراكُ الوهمي لأصحاب الإسلام الوسطي المداهنِ والمعتدلِ في السلطة، أو بالأحرى إلحاقُهم بدواليب النظام لاستخدامهم هم أيضاً وقتما وكيفما يلزَم من خلال تمكينهم من بعض المنافع وإلقامِهم بعض الوظائف (في الوزارة والبرلمان بوجه خاص)، كما هي الحال اليومَ على خلفية هذه الانتفاضات الشعبية وهذا الحراك السياسي الذي تشهده البلاد العربية.

٣- **إلهاءُ الشبابِ** بكل أنواع الرياضة والموسيقى والغناء وجميع أصناف اللهو، بعيداً عن السياسة، وصرفُ معنى الثقافة إلى هذه الأشياء، مع نشر الميوعة في ربوع المجتمع. لا يخفى بطبيعة الحال على المهتمين بالشأن العام ما يتحتم على المتنفذين رصدُه من أموال طائلةٍ.

٤- **دفعُ الناس بقوة نحو الكسب المادي السهل** (ولو) بالمتاجرة في المحرمات شرعاً والممنوعات (قانوناً)، مع فتح أبواب الاستيراد من كل مكان، والتجارة المشبوهةِ دون قيد، والتنافس في المضاربات والصفقاتِ بكل الطرق الملتوية. وفي النهاية: جعلُ المال وحده مقياساً للنجاح في الحياة!

هذه أربعة. وللوقوف على مدى خوفِ الغربيين الأوروبيين والأميركيين من عودة الإسلام إلى شمال أفريقيا في الثوب الذي يزعجهم، أي في تطلع الأمة الإسلامية إلى عودة الخلافة الإسلامية، التي سوف تقطع دابرَ نفوذهم وتلاحقهم في عقر دارهم، ارتأينا في هذه العجالة أن نكشفَ أمراً خامساً من الأمور التي نصحوا بها عملاءَهم على صعيد هذه الحرب على الإسلام في هذا الجزء من البلاد الإسلامية المسوكة أوروبياً، وفي الجزائر بالذات، والتي ينفذها بإخلاص أناسٌ يتكلمون لغةَ الشعب، ويتحدثون باسم النضال والكفاح ضد الاستعمار والهيمنة الأجنبية (و خاصةً حرب التحرير على المستعمِر الفرنسي)، ويتحدثون باسم الوطنية ومصلحةِ الشعب، وينفذون في نفس الوقت للكفار كلَّ ما يطلبون

منهم وفق منهجيةٍ مسطرة، وبخبث ومكرٍ قلَّ نظيرهما. يجري هذا بشكل ناعمٍ في غياب تحرك واضح للناس ضد ما يُراد بهم وبأبنائهم، على الأقل في المدى المنظور، من جراء صدمة أحداثِ تسعينات القرن الماضي، ونتيجة خطة تعفين الوسط السياسي الهزيل أصلاً. وهذا الأمر الخامس هو:

٥- ضربُ الثقافة والتعليمِ في الصميم.

ونظراً لما للتعليم من أهمية في حياة الناس من حيثُ صياغة مفاهيمهم عنها وسلوكياتهم فيها، فإن أعداءَ الأمة أوكلوا إلى هؤلاء العملاء والمنافقين مهمةَ تغيير طريقةِ التفكير لدى أبناء المسلمين ومهمةَ إيجادِ جيلٍ جديدٍ مختلفٍ تماماً، مصمم بعناية وفق شروط معينة: يكون فاقداً للذاكرة، مائعاً لاهياً بشكل مخيف، جاهلاً بشكل مرعب، ليست له لغة يتحدث ويعبر بواسطتها، ولا يبحث في الفانية سوى عن اللذة الآنية! ولا يعرف أي معنىً للجد في الحياة ولا للاستعداد للمستقبل! فهل سينجح أذنابُ الاستعمار في هذه المهمة؟ الجواب: لا. ولكن قبل التطرق إلى هذا الإخفاق المحتوم، نود إلقاء نظرةٍ على ما يجري الآن تنفيذُه في صمت من سياساتٍ في هذا الشأن، بعيداً عن المبالغة، لنقفَ على حجم الكارثةِ، علماً أن هذا التنفيذ كان قد بدأ بالفعل وظهرَ بشكلٍ بارز منذ عقدين من الزمن على الأقل.

عمد الموكَلُ إليهم تنفيذُ ذلك - فيما نحن بصدده وهو التعليم - إلى رسم سياسةٍ تعتمد إجمالاً على الأسس الأربعة الآتية، وقد حرصوا باهتمام بالغ على إيجاد مقتضياتِها على أرض الواقع دون تأخير، أملاً في كسب المعركة ضد الإسلام قبل فوات الأوان:

١- صرفُ كل الاهتمام إلى الكم والعدد على حساب النوع في كل ما يتعلق بالتعليم، والاهتمامُ ببناء الجدران بدل بناء الإنسان. والقصدُ من ذلك هو - تحت شعار تعميم التعليم الزائف - تخريجُ أعداد لا تحصى من حاملي الشهادات في كل الشُّعب مع الحقيقة المُرَّة أن لا أحد يتقن شيئاً، لكي تصبح الشهادةُ لا تعني شيئاً حقيقياً ملموساً في الميدان. وهذه حقيقة صارت مشاهدةً اليوم.كل ذلك لتمييع الوظيفة التعليمية في المجتمع والحط من قيمة العلم والتعلم والتعليم والمعلمين والمتعلمين، عبر المقارنة عملياً مع المجالات الأخرى في الكسب المادي. تحوَّلَ طبيعياً أغلبُ المعلمين في جميع المستويات عن المعنى الرفيع للعلم والتعليم -حتى في الجامعات- إلى طلاب رفعةٍ مادية كلٌّ على طريقته. والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها ثلاثة: **الأول** أن معظمهم صار يدرِّس خارج الساعات المقررةِ أخرى إضافيةً على مرأى من الهيئات الوصية ومن

أجهزة النظام. **المثال الثاني**: أصحابُ الجامعات تخلَّوا في أغلب الأحيان عن مسألة التعليم ذاتها، حتى صار التغيُّب عن الحصص طبيعياً وعادياً دون محاسبة، وباتت الدراسة عبثاً، وصار الحديث في الجامعة الجزائرية عن الراتب والزيادة في الراتب، على ما كان في التعليم الجامعي من ضعف أصليّ من قبلُ، وتقلصت السنة الدراسية - مع سوء التسييرِ والإضراباتِ المتكررة - إلى أقل من عدد أصابع يدٍ واحدة من الأشهر! وعمد كثير منهم إلى انتهاز فرص الحصولِ على المادة من خلال أساليب رخيصةٍ وثغراتٍ أوجدها النظامُ نفسه، كتربصات (وهميةٍ) خارج البلاد ترصدها الجامعاتُ للبحث العلمي (الاسمي فقط!). السؤال: من المسؤول عن هذا الوضع التعيس؟ الوزارة، أم الأستاذ، أم إدارة الجامعة، أم سياسة التعليم، أم النظام ككل؟ **مثال ثالث**: معلم المرحلةِ الابتدائية في الجزائر -وهي بالتأكيد أهم مرحلة في بناء الشخصية منذ الصِّغر- بات محل ازدراء وتهكم في المجتمع من خلال وضعه المادي، بل صار يُنظر إليه على أنه فاشل في الحياة! تجدر الإشارة هنا إلى أن وزارة التربيةِ والتعليم أُوكلت إلى أشخاص من الوسط العلماني المتغرب المتفرنس المرتبط عقلياً ونفسياً بالمستعمر، يرأسها من أجل إتمام المهمةِ نفسُ الشخص منذ ما يقرب من عقدين.

٢- **علمنةُ المناهج وتغييرها** بما يتفق مع النظرة القائلة بأن الإرهاب (و تعريفهُ الحقيقي عندهم وفيما بينهم هو: مطلب الشعب المتمثل في العودة إلى الإسلام على مستوى الدولة والمجتمع) إنما كان نتيجةً لسياسة التعليم المنتهجةِ سابقاً. هذا من جهة، ومن جهة ثانية عمد أصحاب القرار بتدبيرٍ من أعداء الخارج إلى قلب محتوياتِ البرامج التعليمية وخلطِها خلطاً في الأسماء والمسميات يعجز المعلم نفسه عن حل معضلاتِها! هذه هي الحقيقة، وكانت النتيجة أن صار المشرفون على التعليم من مدراء التربية ومديري المؤسسات ذاتها لا يدرون ما يفعلون ولا يجيبون عندما يُسألون! هل تعلمون أن العمليات في حلول التمارين في الرياضيات مثلاً والفيزياء والكيمياء أيضاً صار يُطلب كتابتها في "جزائر ما بعد الإرهاب" (هكذا تسميتها الجديدة) من اليسار إلى اليمين مع الرموز باللاتينية، بينما الجُملُ والعبارات المتعلقةُ بالحلول في ذات التمارين تُكتب بالعربية؟! كأنهم يقولون: إن لغةَ القرآن لا تصلحُ عندما يتعلق الأمر بالعلوم العقليةِ والعلوم التجريبيةِ الحديثة!

يجب ألا ننسى أن نلفت النظر هنا إلى أن ما أنشؤوه بالموازاة وأسموه الجامعات الإسلامية - سيراً على مخطط علمنة الحياة وطمس هوية الأمة وهدم منظومة القيم لديها- لا تقدم إلا ديناً نظرياً

مفصولاً عن الحياة وعن السياسة، ولا يقدم أصحابُ الشهاداتِ المتخرجون منها للمجتمع شيئاً إيجابياً يذكر.

٣- **العودةُ بقوة إلى لغة المستعمر الفرنسي منذُ المرحلة الابتدائية**، وتحميلُ اللغة العربية عملياً بصفة غير مباشرة وبدهاءٍ ماكرٍ مسؤوليةَ الانحدار والفشلِ السابق المزعوم، مع أن حالة التعليم في سبعينات القرن الماضي مثلاً (في زمن لعبةِ التعريب أيام بومدين!) كانت أفضلَ منها الآن بستين ألف مرةٍ في جميع الميادين، وكانت في بعض جوانبها من حيث المستوى واعدةً بالفعل، رغم تبني النظام آنذاك النهج الاشتراكي الشكلي المفلس، للتغطية على عمالته وتَبَعيته للغرب الأوروبي!

٤- **التركيزُ على الفكرة الوطنية والعلمانية المقيتة بدل العقيدة الإسلامية** في بناء شخصية الطفل أو التلميذ إلى غاية المرحلة الثانوية، من خلال محتوى الدرسِ والطريقةِ التي تُلقن بها موادُ التربية المدنية والتربية الوطنية والتربية الإسلامية (الدينية كما يسمونها)، ومن خلال مادةِ التاريخ والجغرافيا والتربيةِ البدنية (الرياضة)، وحتى الأدب واللغةِ والموسيقى وغيرِها. مع تحويل معنى الثقافة كما أسلفنا إلى الغناء والمسرح والرسم والرقصِ والموسيقى والأزياء دون غيرِها. نشير هنا أيضاً إلى أن ما يسمى وزارة الثقافة والاتصال يُرصد لها باستمرار مالٌ كثير، وكانت أُسندت - وما تزال - لمن له سابقةٌ في معاداة الإسلام والحقد على أهله بشكل سافر.

لنا أن نتصور إلى ما يهدف هؤلاء مما سبق وهو بالتأكيد فقط ما يظهرُ على السطح، ولا نشك في أن ما يُخفونه أكبر. قد عَلمنا هذا من قول الله سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾

قد عرفنا من كتاب الله أيضاً أنهم لا يقصرون لنا في الفساد وشدةِ الضرر وإلحاقِ الأذى. فهل يبقى أملٌ في الأجيال القادمة إذا ما سكت أهل الجزائر المسلمون على هذا المنكر العظيم؟ إننا نقول بحسرةٍ أن هذا الذي ذكرناه يحدثُ في صمت كأنه سكوت قبولٍ من طرف جميع الشرائح في المجتمع. أَهو غياب حس؟ أم غيابُ وعي؟ أم تواطأ أهل الدار على هدم الدار؟ فيا ويل من رضي بهؤلاء الحكام النواطير وتابعهم فيما يفعلون.

ولكننا مع هذا نقول إن الخيرَ كل الخير في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وها هي الأمة بدأت تتحرك، وإن الكفارَ الأوربيين والأميركيين وعملاءَهم من الحكام في بلاد المسلمين، وهم منهم وليسوا منا، ما سعروا كل هذا السعار هنا في الجزائر وفي كل البلاد الإسلامية لاحتواء ما

يجري- حرباً على الإسلام والمسلمين - إلا لأنهم أحسوا بعودة المسلمين إلى وعيهم، وبقرب قيام دولةِ الخلافة التي ستنهي نفوذَ أعداءِ الإسلام إلى غير رجعة. بل إننا نذهب بعيداً لنجزم أن الأمةَ الإسلامية اليومَ باتت أقربَ إلى نهضتها ووحدتِها، وأن مَن يسعى بكيدٍ للوقوف في وجه حراكها نحو التغيير وعودةِ الإسلام إلى الحياة المجتمعية وإلى الحكم، سواء بفكرة محاربةِ الإرهاب أو بالديمقراطية والعلمانية، أو بفكرة إشراك المعتدلين في دول مدنية مزعومة، ويسابقُ الزمنَ أملاً في كسب المعركة ضد الإسلام قبل فوات الأوان، قد فاته الأوانُ بالفعل. وهذا هو الإخفاقُ المحتوم. ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ ذلك أن الأمة الإسلاميةَ بوصفها جسماً واحداً قد دبَّ فيها الوعيُ الآن بوصفها كلاً رغمَ كل الحواجز والحدود، وبدأت تزمجر في وجه أعدائها، وصارت اليومَ متلبسة فعلاً بالعمل من أجل العودة إلى السياسة الدولية، بعد أن أُقصيت منها نهائياً عقب الحرب العالمية الأولى، أي بعد القضاء على الدولة العثمانية (علماً أن إقصاء هذه الأخيرةِ من المسرح الدولي كان قد بدأ بالفعل قبلَ ذلك بعقود، أي عندما دب فيها الوهن وسميت بالرجل المريض وقبلت أن تتخلى عن كونها دولةً إسلاميةً في علاقاتها الدولية في منتصف القرن التاسع عشر). نجزم أيضاً أن مسألةَ قيام دولةِ الخلافة في بلاد المسلمين أصبح اليومَ يؤرِّق الأوربيين والروسَ والأميركان، وأن حربَهم على الإرهاب إنما هي من أجل ذريعة التدخل في كل مكان في الدنيا ليمنعوا قيامَها، من أفغانستان وباكستان إلى فلسطين والعراق إلى وسط آسيا وشمال أفريقيا وغيرها. وهذا المنعُ عندهم هو بلا شك من أعظم مصالحهم، ولهم فيه مآربُ أخرى، وقد جهروا به وصار على ألسنة ساستهم وحكامِهم ومنظريهم. ولكن المسلمين اليومَ باتوا في أمس الحاجة إلى وعي سياسيّ على قضاياهم، وفي مقدمتها دولتُهم ووحدتُهم. وإن أخوفَ ما يخاف هؤلاء الأعداءُ اليومَ هو اكتمال الوعي لدى المسلمين، ويقظتُهم النهائية، وعودتُهم إلى الحضور الدولي، وهو ما يعني عزةَ المسلمين، وذلةَ الكافرين، ويعني كذلك حتماً انتهاءَ سيطرتِهم على بلاد المسلمين كافة، عندما تقومُ الخلافة، وهو ما نراه في الأفق قريباً بإذن الله، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء وهو العزيز الحكيم.

فالعمل العمل، والخلافة الخلافة أيها المسلمون في كل مكان، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾﴾ ❑

بسم الله الرحمن الرحيم

وجوب الحكم بما أنزل الله وحرمة موالاة الكافرين

وقفة تدبر مع آيات من سورة المائدة

برهان (أبو عامر)

إن القرآن الكريم هو نور الله في الأرض، وهو الحق المبين، وحبل الله المتين، وحجة الله على عباده إلى يوم الدين. من حكم به عدل، ومن أخذ به هدي إلى الصراط المستقيم، ونحن في هذه الصفحات نقف على آيات من كتاب الله في سورة المائدة ننظر فيها وبماذا تأمرنا، وعن ماذا تنهانا، لعلها تكون هادياً ودليلاً للأمة اليوم وهي تنهض وتتحدى الكفر والظلم إلى النصر والتمكين والاستخلاف في الأرض.

إن وجوب الحكم بالإسلام قضية محكمة في الشريعة، ولم تكن محل خلاف بين المسلمين، يقول صاحب الظلال سيد قطب في مقدمته على سورة المائدة: «نزل هذا القرآن الكريم على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم لينشئ به أمة، وليقيم به دولة، ولينظم به مجتمعاً، وليربّي به ضمائر وأخلاقاً وعقولاً، وليحدِّد به روابط ذلك المجتمع فيما بينه، وروابط تلك الدولة مع سائر الدول، وعلاقات تلك الأمة بشتى الأمم. حتى صرنا في ظل حكم الكفر والخيانة، قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦٩﴾.

وظهر مشايخ وعلماء وجماعات تحمل اسم الإسلام وترفع الشعارات الإسلامية، جعلوا هذه الفريضة وقوام الشريعة وظهور الدين مسألة فيها نظر، وجدل، وخلاف، بل وردٌّ، بدعاوى ابتدعوها ما أنزل الله بها من سلطان، مثل تبريرات الضرورة، والمصلحة، وجمع الكلمة ووحدة الصف، ومراعاة المرحلة، ومسايرة الأعداء، وعدم إغضاب الغرب... في قائمة طويلة لا تنتهي من المعاذير. قال تعالى:﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٤٨﴾. يقول سيد قطب في الظلال: بذلك أغلق الله سبحانه مداخل الشيطان كلها. وبخاصة ما يبدو منها خيراً وتأليفاً

للقلوب وتجميعاً للصفوف، بالتساهل في شيء من شريعة الله، في مقابل إرضاء الجميع! أو في مقابل ما يسمونه وحدة الصف! إن شريعة الله أبقى وأغلى من أن يضحى بجزء منها في مقابل شيء قدَّر الله أن لا يكون!

وإنها لتعلَّةٌ باطلة إذاً، ومحاولة فاشلة، أن يحاول أحد تجميعهم على حساب شريعة الله، أو بتعبير آخر على حساب صلاح الحياة البشرية وفلاحها، فالعدول أو التعديل في شريعة الله لا يعني شيئاً إلا الفساد في الأرض، وإلا الانحراف عن المنهج الوحيد القويم، وإلا انتفاء العدالة في حياة البشر، وإلا عبودية الناس بعضهم لبعض، واتخاذ بعضهم أرباباً من دون لله... وهو شر عظيم وفساد عظيم...

إن محاولة التساهل في شيء من شريعة الله، لمثل هذا الغرض، تبدو - في ظل هذا النص الصادق الذي يبدو مصداقه في واقع الحياة البشرية في كل ناحية - محاولة سخيفة لا مبرر لها من الواقع، ولا سند لها من إرادة الله، ولا قبول لها... فكيف وبعض من يسمون أنفسهم (مسلمين) يقولون: إنه لا يجوز تطبيق الشريعة حتى لا نخسر (**السائحين**)؟!،أي والله، هكذا يقولون. رحمك الله يا سيد، لكن الذين يقولون هذه المقالة اليوم هم مشايخ وأعلام وأئمة ورؤساء وزعماء لحركات إسلامية! فحسبنا الله ونعم الوكيل، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وأغرب من هذا وأعجب، هو أنه بالرغم من أن الولاء لله والرسول والمؤمنين والبراءة مما سواه، هو من أصول الدين وشروط الإيمان وصفات المؤمنين قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾. إلا أننا صرنا اليوم نرى ونسمع مشايخ وعلماء وجماعات تحمل اسم الإسلام وترفع الشعارات الإسلامية يبذلون ودَّهم لنيل رضا الكفار المستعمرين من يهود وأميركيين وأوروبيين، والله سبحانه وتعالى ينادي ويقول:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾. فكيف يبذل بعض المسلمين اليوم في مصر وتونس وليبيا وغيرها ودَّهم وجهدهم للأعداء الكفار من يهود وأميركيين وأوروبيين وهم يرونهم يسخرون من الإسلام، وأهله يدنسون كتاب الله ويهزؤون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستبيحون حرمات المسلمين أعراضهم ودمائهم وبلادهم؟!.

إن الواجب على القيادة والقيادة الإسلامية أولاً أن تكون كالرائد الذي لا يكذب أهله، الذي يقودهم إلى بر الأمان وإلى الخصب والماء العذب، قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ

لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾.

والذي يقود الأمة إلى الخلافة دولة الحق والعدل ويخرجها من الظلم والظلام في ظل حكام الضرار وسيطرة الغرب الكافر المستعمر.

لقد كانت الثورات علامة جديدة على حياة الأمة الإسلامية بوصفها أمة إسلامية متميزة، واحدة، شاهدة، ترفض الخضوع والسيطرة. إن الترجمة الصادقة للشعار الأول والأبرز لهذه الثورات (**الشعب يريد إسقاط النظام**) في جميع الثورات وتردُّده في كثير من بلاد المسلمين يدل على أن شعوب المسلمين تريد نظاماً جديداً غير هذا النظام الرأسمالي الديمقراطي، وهي تكبر الله وتصلي لله وتدعو الله، فماذا غير نظام الإسلام تريد؟! بل أكثر من هذا وَأَدَلُّ والملايين تنادي في الساحات والميادين بتطبيق الشريعة. فهل بعد كل هذا يبقى من عذر لأحدٍ في القعود عن فريضة الحكم بالإسلام والخلافة؟!

قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

إن الأمر من الله سبحانه لرسوله محمداً صلى الله عليه وسلم ولنا من بعده بالحكم بالإسلام ظاهر في هذه الآيات في منطوقها، والأمر لا يحتاج إلى كثير عناء لمن يقرأ القرآن، هذا فضلاً عن العلماء الذين لهم نظر وفهم أبعد، واللافت للنظر أن الآيات الكريمة قد كررت الأمر بالحكم بالإسلام، قال تعالى: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾، ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾، ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾. وهي في نفس الوقت حذرت من الصوارف عن هذا الأمر الرباني، من اختلاف الناس على شريعة الإسلام. أو الميل إلى استرضاء الناس وكسب ودهم، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾. وسواء أكان ذلك على حساب ترك الشريعة وحكم الإسلام جملة ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ أم كان على حساب ترك ولو بعضها، قال تعالى: ﴿وَٱحْذَرْهُمْ

﴿أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾. أي حتى وإن رفض فريق من الناس حكم الإسلام فاثبت أنت عليه ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾؛ لأنك على الحق الذي جاءك من عند الله، ولا تلتفت إلى هؤلاء حتى ولو كثروا ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾.

يقول صاحب الظلال: **ويقف الإنسان أمام هذه الفصاحة في التعبير، وهذا الحسم في التقرير، وهذا الاحتياط البالغ لكل ما قد يهجس في الخاطر من مبررات لترك شيء –ولو قليل– من هذه الشريعة في بعض الملابسات والظروف... يقف الإنسان أمام هذا كله ، فيعجب كيف ساغ لمسلم – يدعي الإسلام – أن يترك شريعة الله كلها، بدعوى الملابسات والظروف! وكيف ساغ له أن يظل يدعي الإسلام بعد هذا الترك الكلي لشريعة الله!...** رحم الله صاحب الظلال سيد قطب، فماذا سيقول لهؤلاء المشايخ والعلماء وقادة الجماعات، أصحاب المناصب والألقاب، وهم يدَّعون الإمامة في الدين، ويقولون بكل هذه التبريرات ؟!.

قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾. عن الحسن البصري: «من حكم بغير حكم الله فحكم الجاهلية.» وكان طاووس إذا سأله رجل أفضلَ بين ولديه في النِّحَلْ (العطية) قرأ ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ﴾

يقول ابن كثير تعليقاً على هذه الآية: «ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدلَ إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾. أي ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه وآمن به وأيقن وعلم أن الله أحكم الحاكمين وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها، فإنه تعالى هو العالم بكل شيء القادر على كل شيء العادل في كل شيء».

يقول الرسول ﷺ فيما رواه الطبراني والبخاري: «**أبغض الناس إلى الله عز وجل من يبتغي في الإسلام سنة الجاهلية**» أورده ابن كثير في تفسيره .

فهل بعد كل هذا البيان يبقى عذر لمعتذر يترك حكم الإسلام ودولة الخلافة إلى الدولة المدنية والديمقراطية؟! يترك شرع الله ويأخذ شرع أميركا وأوروبا؟! يقول سيد قطب في الظلال معلقاً هنا: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾. **إن معنى الجاهلية يتحدد بهذا النص – هي حكم البشر للبشر** - .

ما الذي يستطيع أن يقوله من ينحِّي شريعة الله عن حكم الحياة يستبدل بها شريعة الجاهلية وحكم الجاهلية؟ ما الذي يستطيع أن يقوله ..... وبخاصة إذا كان يدعي أنه من المسلمين؟! .

الظروف؟ الملابسات؟ عدم رغبة الناس؟ الخوف من الأعداء؟... ألم يكن

هذا كله في علم الله وهو يأمر المسلمين أن يقيموا بينهم شريعته، وأن يسيروا على منهجه، وأن لا يفتنوا عن بعض ما أنزله؟ قصور شريعة الله عن استيعاب الحاجات الطارئة والأوضاع المتجددة والأحوال المتغلبة؟ ألم يكن ذلك في علم الله وهو يشدد هذا التشديد ويحذر هذا التحذير؟

يستطيع غير المسلم أن يقول ما يشاء، ولكن المسلم أو من يدعون الإسلام، ما الذي سيقولون في هذا كله، هل يبقون على شيء من الإسلام؟ أو يبقى لهم شيء من الإسلام؟.

وبعد آيات الحكم تأتي مباشرة آيات الولاء لله والرسول والمؤمنين والتحذير من موالاة الكفار وخاصة أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

وتفسير القرآن آية آيةيحصل منه معنى، لكن الجمع بين الآيات إذا كان يتحصل منه معنى جديداً لا شك أنه أولى وأنفع. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ٥٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٥٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٥٧ ﴾. والناظر في هذه العلاقة بين الحكم بما أنزل الله وبين الكفار وخاصة اليهود والنصارى يجد العداوة الشديدة والمكر الخبيث من أهل الكتاب خاصة، كان ذلك من يهود في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يكتفوا بأنفسهم في عداوتهم وحربهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى حرضوا قبائل العرب من المشركين على المسلمين، ثم دور النصارى في شن الحروب الصليبية على المسلمين، ولم يتوقف مكرهم حتى تآمروا على دولة الخلافة العثمانية يهوداً ونصارى، وجنَّدوا العملاء وجيَّشوا الجيوش في عداوة لم تتوقف حتى هدموا الخلافة الإسلامية، ومن حينها وهم يعملون على منع عودتها بكل الإجرام والوحشية، وهم في هذا لا يخفون نواياهم وأهدافهم في منع عودة الإسلام إلى الحكم والسياسة، فها هي دعوة الخلافة ودعاتها يملؤون الآفاق بين الخافقين، لكن الغرب ينكرها ويحذر من كل دعوة تتجاوب معها، ولو كانت هتاف الملايين في مصر والشام ...

يقول ابن كثير «واحذر أعداءك اليهود أن يدلسوا عليك الحق فيما ينهونه إليك من الأمور، فلا تغتر بهم فإنهم كذبة كفرة خونة. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾ ينهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى الذين هم أعداء الإسلام وأهله قاتلهم الله، ثم أخبر أن بعضهم أولياء بعض، ثم تهدد وتوعد من يتعاطى ذلك». فهل يقبل مسلم بعد هذا أن يتدخل الغرب، أميركا وأوروبا، فضلاً عن يهود في بلاد المسلمين؟! فكيف بمن يبادر من المسلمين لتدخلهم في قضايانا وبلادنا؟! كيف بمن يطلب من المسلمين معونتهم ومشورتهم من هؤلاء الكفار المستعمرين؟!

يقول سيد قطب في الظلال: «إن هذا القرآن يربي المسلم على أساس إخلاص ولائه لربه ورسوله وعقيدته وجماعته المسلمة، وعلى ضرورة المفاصلة الكاملة بين الصف الذي يقف فيه وكل صف آخر لا يرفع راية الله، ولا يتبع قيادة رسول الله. والولاية التي ينهى الله الذين آمنوا أن تكون بينهم وبين اليهود والنصارى هي التناصر والتحالف معهم... ولا تتعلق بمعنى اتباعهم في دينهم.» وهي اليوم عمالة وتبعية من بعض بني جلدتنا لهؤلاء الكفرة المستعمرين في واشنطن ولندن وباريس. ويقول: «إن سماحة الإسلام مع أهل الكتاب شيء، واتخاذهم أولياء شيء آخر.

ولا يزال الإسلام والذين يتصفون به... يلقون من عنت الحرب المشبوبة عليهم وعلى عقيدتهم من اليهود والنصارى في كل مكان على سطح الأرض، ما يصدق قول الله تعالى ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾... وما يحتم أن يتدرع المسلمون الواعون بنصيحة ربهم لهم. بل بأمره الجازم، ونهيه القاطع، وقضائه الحاسم في المفاصلة الكاملة بين أولياء الله ورسوله وكل معسكر آخر لا يرفع راية الله ورسوله... إن هذه القضية في الإسلام قضية اعتقادية إيمانية. كما أنها قضية تنظيمية حركية.»

وهكذا تمضي الآيات في بيان حدود جماعة المسلمين وشعارهم، وكيف أنهم أمة واحدة من دون الناس في الولاء والنصرة للإسلام وأهله، وهم بهذا حزب الله وأولياء الله وأحباؤه، وفي مقابلهم الكفار بمللهم ودولهم وعلى رأسهم اليهود والنصارى كما هو حالهم اليوم وعلى رأسهم أميركا.

إن الأمة الإسلامية اليوم وشعوبها تنتفض وتثور على أنظمة التبعية للكفار، فإنها ترسم حدود المفاصلة مع أعدائها، فهنيئاً لمن أطاع الله وعمل بشريعته وانحاز إلى أمته في التحرر من سيطرة الغرب وإقامة دولة المسلمين الخلافة، ومن أعرض وتولى فالله حسيبه، والحمد لله رب العالمين.❐

بسم الله الرحمن الرحيم

تحديد مدّة زمنية لمنصب الخلافة ليس من الإسلام

أيمن صلاح – فلسطين

في ظل ما تشهده البلاد الإسلامية من ثورات، بدأ الغرب وأعوانه ينشطون في وضع بدائل للأنظمة الاستبدادية. وحيث إنهم يعلمون أن الأمة اليوم تتشوق لحكم الإسلام ونظام الخلافة فقد أصبح همُّهم أن يُدخِلوا تغييرات على مفاهيم الإسلام المتعلقة بالدولة وشكلها ونظام الحكم فيها، بحيث لا تبقى دولة إسلامية. ومن جملة ذلك أنهم طرحوا مسألة استبداد الحاكم كمشكلة تحتاج إلى علاج، وأخذوا يسألون عن الضمانات العملية التي تحول دون ظلم الحاكم واستبداده. وكان الجواب أن الحل –كما في النظم الديمقراطية- يكون بتحديد مدة ولاية الحاكم بمدة محددة، وتحديد عدد مرات ترشحه للولاية بمرتين أو ثلاثة، بالإضافة إلى مبدأ الفصل بين السلطات الثلاث (التشريعية والتنفيذية والقضائية). وقالوا إن ذلك يستبعد استبداده، ويقلل من صلاحياته. وقالوا إن كان الحاكم صالحاً فلا خوف منه، ولكن إن كان غير ذلك فإن الأمة لن تعيد انتخابه بعد ظهور فساده لمرة ثانية.

جَرْياً وراء هؤلاء قام مفكرون وعلماء مسلمون ببحث المسألة على نفس الأساس، أي جعلوا أساس البحث الضمانات العملية التي تحول دون ظلم الحاكم واستبداده. فبدأت فكرةُ (الحكم المؤقت) تُبحث كإحدى الضمانات، كما اعتبر كثير من المفكرين السياسيين المسلمين المعاصرين أن الفصل بين السلطات لا يتنافى أيضاً مع الفكر السياسي الإسلامي، نظراً لتغير الظروف البيئية، ومن منطلق المصلحة حسب رأيهم. وبدأت محاولةُ التأصيل الشرعي لهذه الأفكار. فقال بعضهم بجواز تحديد مدة زمنية لمن

يتولى زمام السلطة، وقالوا إن الإسلام جعل السلطان للأمة، والخليفة وكيل عنها، فلها أن تشترط في عقد البيعة ذلك خصوصاً وأنه لم يرد في الشرع ما يمنع ذلك!! أي أنهم وصفوا عقد البيعة بأنه وكالة وأنزلوا عليه أحكام الوكالة، ومنها أن الوكيل يجوز أن يحدد مدة الوكالة، وله أن يعزل وكيله.

ومن الواضح لأي متابع أن البحث لم يكن على أساس أنهم يريدون أخذ نظام الإسلام وتطبيقه بعد انهيار الأنظمة الجبرية، وليس على أساس أن هذه المسألة هي إحدى المسائل الجزئية في نظام الحكم يجب فهمها وبيان الحكم الشرعي فيها حتى يطبق نظام الحكم في الإسلام كاملاً. فالقول بتحديد مدة زمنية للرئاسة لم يأت نتيجة استقراء للنصوص الشرعية المتعلقة بعقد البيعة وطبيعة نظام الحكم الإسلامي؛ بل جاء هذا القول متأثراً بضغط الواقع الذي عاناه الناس في ظل أنظمة استبدادية لعقود. ومن واقع التجربة الأوروبية التاريخية في ثورتها على حكم الملوك وسلطتهم المطلقة التي لم تكن تستند إلى قواعد شرعية ثابتة، وذلك على اعتبار أنهم وكلاء عن الله في الأرض، فهم أصحاب السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية، والذي انتهى حكمهم بما يسمى نظام الحكم الديمقراطي، فكانت الرؤية والمعالجة التي قدمتها الديمقراطية كضمانة لعدم استبداد الحاكم هي فصل الدين عن الحياة، وتجريد السلطة من صلاحياتها وجعلها بيد الشعب الذي هو مصدر السلطات.

وليس طرح بعض المفكرين لفكرة تحديد مدة زمنية (للخليفة) في نظام الحكم الإسلامي إلا تقليداً وتأثراً لما وصلت إليه الديمقراطية من حل لإنهاء الحكم المطلق. وهذا واضح في قولهم أن عقد البيعة للخليفة وكالة، بناء على رؤية الديمقراطية للسلطة؛ فإعطاؤهم عقد البيعة صفة الوكالة ما هو إلا محاولة لتأصيل شرعي خاطئ لفكرة (الشعب مصدر السلطات) التي تقول بها الديمقراطية، والذي كان نتيجته القولُ بجواز تحديد مدة زمنية لمنصب الخلافة. ثم قالوا إن للأمة أن تفسخ العقد معه متى شاءت ذلك، لأن الوكيل لا يملك من التصرف إلا ما يقتضيه إذن موكله، من جهة النطق أو جهة العرف لأن تصرفه بالإذن. مما يعني أن الإمام حسب تصورهم لا يتصرف إلا وفق إذن موكله أي الأمة.

وحيث إن الناس قد عانوا ظلم وفساد الأنظمة منذ عقود، فقد انطلت عليهم فكرة وضع حدٍ لاستبداد الحاكم

على اعتبارها المشكلة الأهم. وقد كان لهذه الفكرة صدى لدى كثير من المسلمين، من الأفراد والجماعات، وبدؤوا يسألون: هل يوجد مانع شرعي لتحديد مدة الرئاسة؟!. لذلك كان لابد من التذكير بالأحكام الشرعية المتعلقة بهذه المسألة، وإرجاع المسألة إلى الأساس الشرعي الذي يجب أن تُؤصَّل عليه.

وقبل الخوض في الحكم المتعلق بمسألة تحديد مدة الرئاسة لابد أن ندرك أن قضية المسلمين ومعاناة الناس ليست من عدم تحديد مدة الرئاسة، بل إن السبب الحقيقي لمعاناة الناس، سواء المسلمين منهم أم الذميين، هو عدم تطبيق الإسلام عليهم، وتطبيق الأنظمة الوضعية، ومنها الأنظمة الديمقراطية التي تهيئ الأجواء للحاكم لاستغلال التشريع كأداة للسيطرة السياسية. ولم تكن مدة ولاية الحاكم هي المشكلة، فالناس يعانون حتى في البلاد التي تطبق فيها الأنظمة الديمقراطية كما في تركيا وباكستان وإيران وغيرها. والغرب عندما يتحدث عن مشكلة الاستبداد يقصد بها انفراد الحاكم واستقلاله بالحكم دون الرجوع إلى مجالس تشريعية لأخذ التشريع والخضوع للمحاسبة. وحيث إن طرح مسألة أخذ التشريع من مجالس تشريعية كحل للاستبداد يعيد بحث قضية السيادة والحاكمية، وهي مسألة محسومة بأنها للشرع، وتعتبر ضمانة حقيقية لمنع الاستبداد السياسي، ولا يمكن للدعاة والمفكرين المسلمين أن يقولوا بغير ذلك، فقد عمد عملاء الغرب الفكريين إلى محاربة نظام الخلافة من خلال طرح مسألة تحديد مدة الرئاسة.

ولمناقشة هذه القضية لابد من الرجوع إلى فهم واقع الخلافة والبيعة من النصوص الشرعية، وليس على أساس حل مشكلة الاستبداد. وبالرجوع إلى نصوص الشرع نجد ما يلي:

أولاً: لا يجوز أن يقال إن تحديد مدة الخلافة لا يخالف الإسلام فلا مانع من أخذه.

لا يقال ذلك لأنه لا يجوز أخذ أي نظام يعالج المشاكل البشرية إلا من الإسلام، فإن لم يكن هذا الأمر في الإسلام أي لم يأت به الإسلام، فهو من الكفر ولا يجوز أخذه، وإلا كان تحاكماً إلى الطاغوت، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾. وفي الحديث المتفق عليه عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ**»، وفي رواية أخرى عند مسلم عنها: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**». هذا إذا افترضنا أن الأحكام الشرعية لم تعالج هذه المشكلة ولم تعطِ حكماً فيها، والحق أن الأحكام الشرعية لم تُغفل شيئاً، وهي تدل بوضوح على منع تحديد مدة الرئاسة كما سيأتي.

ثانياً: إن عقد البيعة للخليفة ليس عقد وكالة، وإن الخلافة هي عقد مراضاة واختيار لمن ينوب عن الأمة في السلطان وفي تنفيذ الشرع، وله أحكام تخالف أحكام الوكالة في المضمون والآثار المترتبة عليه.

فالوكالة عقد غير لازم، فإنه يجوز لأي من الطرفين إنهاؤه، فللموكل أن يعزل الوكيل وينهاه عن التصرف الذي أمره به، كما أن للوكيل أن يعزل نفسه منها أيضاً. وفي الوكالة ينحصر عمل الوكيل بما وُكل به وليس له عموم التصرف والنظر. بينما عقد الخلافة عقد لازم لا خيار في حله من جهة المبايع دون سبب يقتضيه، والبيعة تُكسب الإمامَ التصرفَ العام والاستقلال التام بالنظر في رعاية شؤون الأمة، وتُلزِمُ المبايِع بالسمع والطاعة والتسليم لرأى الإمام ما لم يأمر بمعصية. وهذا باتفاق الفقهاء.

ولذلك قال ابن خلدون في مقدمته في شرح معنى البيعة: «اعلم أن البيعة هي العهد على الطاعة، كأن المبايع يعاهد أميرَه على أنه يُسَلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين لا ينازعه في شيء من ذلك، ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكره».

فكون الشرع جعل السلطان للأمة لا يعني أن لها فسخ عقد البيعة متى شاءت الأمة ذلك، كما في عقد الوكالة. ومن الأحاديث التي تدل على أن البيعة عقد لازم ما رواه مسلم وأحمد وغيرهما عن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ يَقُولُ: «**مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا حُجَّةَ لَهُ**». وحديث الأعرابي المتفق عليه عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: «أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَأَصَابَ الْأَعْرَابِيَّ وَعْكٌ بِالْمَدِينَةِ، فَأَتَى الْأَعْرَابِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقِلْنِي بَيْعَتِي. فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ثُمَّ جَاءَهُ فَقَالَ: أَقِلْنِي بَيْعَتِي، فَأَبَى. ثُمَّ جَاءَهُ فَقَالَ: أَقِلْنِي بَيْعَتِي، فَأَبَى. فَخَرَجَ الْأَعْرَابِيُّ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّمَا الْمَدِينَةُ كَالْكِيرِ، تَنْفِي خَبَثَهَا وَيَنْصَعُ طِيبُهَا».

ثالثاً: يجب أن يُوَفَّى عقد البيعة

للخليفة ما دام قائماً بالحكم بالإسلام دون أي شرط متعلق بالمدة. فالنصوص الشرعية توجب الوفاء بعقد البيعة للخليفة بالسمع والطاعة له، وتحرم الخروج عليه ما دام الخليفة محافظاً على الشرع، منفذاً لأحكامه، قادراً على القيام بشؤون الدولة دون أي شرط آخر، ولا توجد في النصوص الشرعية أية دلالة أو إشارة إلى تحديد مدة الرئاسة للخليفة بزمن معين. فقد روى البخاري عَنْ أَنَس بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِن اسْتُعْمِلَ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**»، ورواه مسلم والنسائي عن أم حصين بزيادة «**يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ**». وعن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: دَعَانَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَايَعْنَاهُ. فكان فيما أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ **بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةً عَلَيْنَا وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**» متفق عليه. والأحاديث في هذا الباب لا يتسع المقام لبسطها وما ذكرناه طرف منها.

كما أن إجماع الصحابة رضوان الله عليهم دالٌّ على عدم تحديد مدة الخلافة، فإن الخلفاء الراشدين قد بويع كل منهم بيعة مطلقة، وكانوا غير محدودي المدة، وتولّى كل منهم الخلافة منذ أن بويع حتى مات، فكان إجماعاً منهم على أنه ليس للخلافة مدة محددة، بل هي مطلقة.

ورغم أن الشرع جعل السلطان للأمة بأن تُنَصبَ الخليفةَ وتبايعه، إلا أنه لم يجعل لها حقَّ عزله. فلو أراد الناس أن يخلعوا الأمامَ بعد أن تُعقدَ له البيعةُ على الوجه الشرعي ودون سبب يوجبُ عزلَه فلا يجوزُ لهم، وليس عليه أن يستجيب لهم، وقد كانت هذه وصيةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان رضي الله عنه، فعن عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلَ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وقَالَ: «**يَا عُثْمَانُ إِنْ وَلَّاكَ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ يَوْمًا فَأَرَادَكَ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تَخْلَعَ قَمِيصَكَ الَّذِي قَمَّصَكَ اللَّهُ فَلَا تَخْلَعْهُ**». يَقُولُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. قالت عائشة: فَلَمَّا رَأَيْتُ عُثْمَانَ يَبْذُلُ لَهُمْ مَا سَأَلُوهُ إِلَّا خَلْعَهُ عَلِمْتُ أَنَّهُ مِنْ عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي عَهِدَ إِلَيْهِ» رواه الإمام أحمد وابن ماجة والترمذي. ومعنى الوصية أنهم إن قصدوا عزلَك عن الخلافة فلا تعزل نفسك عنها لأجلهم لكونك على الحق وكونهم على الباطل.

وفي هذه المسألة قال إمام الحرمين الجويني رحمه الله في الغياثي (غِياثُ الأمم في التياث الظُّلم): (الإمام إذا لم

يَخْلُ عن صفات الأئمة فرام العاقدون له عهداً أن يخلعوه، لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً باتفاق الأمة؛ فإنَّ عقدَ الخلافة عقدٌ لازمٌ لا خيار في حَله من غير سبب يقتضيه، ولا تنتظم الإمامةُ ولا تُفيدُ الغرضَ المقصودَ منها إلا مع القطع بلزومها).

وقال الإمام أبو بكر الباقلاني في التمهيد (تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل): (فإن قال قائل: فهل تملك الأمة فسخ العقد على الإمام من غير حدث يوجب خلعه كما أنها تملك العقد له؟ قيل له: لا. فإن قيل: فكيف يملك العقد من لا يملك فسخه؟ قيل له هذا في الشريعة أكثر من أن يحصى ...).

وقد بين الماوردي في أحكامه السلطانية (ص ١٩-٢٤): (أن بيعةَ الإمام دائمةٌ لا تنقطع إلا إذا مات أو طرأ عليه سببٌ يوجبُ العزلَ مِن نَقْصٍ في الدين أو نقص مؤثر في البدن).

رابعاً: إن عزل الخليفة إذا طرأ عليه ما يجعله معزولاً أو ما يجعله يستوجب العزل ليس تحديداً لمدته في الخلافة، وإنما هو حدوث اختلال في شروطها.

فإن صيغةَ البيعة الثابتة شرعاً تجعلُ الخلافةَ غيرَ محددة المدة، ولكنها محددةٌ بقيام الخليفة بما بويع عليه، وهو العمل بالكتاب والسنة، أي تنفيذ أحكامهما، فإن لم يحافظ على الشرع أو لم ينفذه فإنه يكون قد أظهر الكفر البواح مما يجعل عزلَه أو قتالَه واجباً على الأمة لحديث: «**إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**».

خامساً: إن هناك فرقاً بين الإسلام والمبادئ الأخرى من حيثُ الضماناتُ لقيام الخليفة بما بويع عليه ومن حيث خضوعُه للمساءلة والمحاسبة وعدمُ تمتعه بالحصانة. فالقضية التي يركز عليها الإسلام هي تطبيق الإسلام، بتنفيذ أحكامه بإحسان وحمل دعوته، والضمانة الطبيعية لذلك هي تقوى الله في الحاكم وفي الأمة، فالحاكم الذي تتركز تقوى الله في نفسه تجعله حريصا على الإسلام أكثر من حرصه على حياته، وتوجد فيه الأحاسيس المرهفة التي تجعله يراقب الله في كل تصرفاته في كل لحظة، وعند كل عمل. وقد راعى الشارعُ واقعَ كون الخليفة شخصاً غير معصوم قد تضعف فيه التقوى، فجعل الأمةَ هي الوسيلةَ الماديةَ التي تُجبرُه على تنفيذ أحكام الإسلام، أو تقصيه عن الحكم. ولذلك كان واجب الأمة إذا رأت حاكماً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله أن تُغَيِّرَ عليه بالقول أو بالفعل أو تُغَيرَه.

فأوجب على الأمة أن تناقش الحاكم وتحاسبه على تصرفاته كلما رأت منه تقصيراً. فمحاسبة الحاكم واجب على الأمة وحق لها، وهو واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾. وجعل محاسبة الحاكم الجائر من أفضل الجهاد، فقد جاء رجل وسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْغَرْزِ: أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قال: «**كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ**» (رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه وأحمد والبيهقي وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة). كما أوجب الشرع وجودَ أحزاب سياسية في الأمة تقوم على أساس الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، وجعل عملَها مراقبةَ عملِ الحكام ومحاسبتهم، وعليها أن تأخذَ على أيديهم وتأطرَهم على الحق أطراً، وجعلَها ضمانةً أخرى تمنع الاستبداد. وجعل الشرعُ محكمةَ المظالم هيئةً قضائيةً عليا في الدولة تنظر في شرعية القضايا التي تختلف فيها الأمة مع الحاكم، وعليها مراقبة الحكام للتأكد من حسن تطبيق الإسلام، وجعل حكمَها ملزماً. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.

فإذا كانت الأنظمة الديمقراطية قد جعلت للحاكم مدة معينة، يستبد أثناءها، ويسيطر على السلطة التشريعية ويستغلها أداة للسيطرة السياسية، ويكون له حصانة في هذه الفترة، بحيث لا تملك الأمة عزله ولا نقض حكمه، بل تبقى في ظل استبداده تنتظر حتى انتهاء مدته، لتبحث عن مستبد آخر، فإن الإسلام لم يجعل للحاكم أي حصانة، بل هو تحت المراقبة والمحاسبة من أول يوم يُبايَع فيه.

وبهذا يتبين لنا أن نظام الإسلام هو نظام يملك الضمانات الكافية لمنع الظلم والاستبداد، وهو فوق ذلك أعظم نظام عرفته البشرية، لأنه من عند العليم الخبير الذي خلق الإنسان ويعلم ما يصلحه، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.

هذا هو الحق وليس بعد الحق إلا الضلال...

والحمد لله رب العالمين.❐

بسم الله الرحمن الرحيم

الكلّ الشُعُورِيّ

عثمان بن رزق

إن الفهم الصحيح لمسألة الكلّ الشعوريّ يقتضينا دراسة سرّ حياة التكتل الصحيح. وإبتداء أتناول تفسير كلمة «الكُل» وكلمة الشعور، - فقد جاء بالمعجم الوسيط بخصوص كلمة الكلّ أنها تفيد الاستغراق لأفراد ما تضاف إليه أو أجزائه، نحو قوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱمۡرِيٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ ، وحديث: «**كلّ المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه**» وتعتبر "كُلّ" في هذه الحالة مفرداً مذكراً بحسب اللفظ، أمّا معناها فهو بحسب ما تضاف إليه، كما في التنزيل العزيز :﴿كُلُّ ٱمۡرِيٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾. وقوله : ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾.

و تستعمل «كُلّ» ظرف زمان للتعميم إذا لحقتها (ما)، كما في التنزيل العزيز: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾. وتقع «كُلّ» وصفاً مُفيداً للكمال كما في نحو : هو العالم كُلّ العالم، وتقع توكيداً كما في التنزيل العزيز: ﴿فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ٧٣﴾.

- كما جاء بالمعجم الوسيط بخصوص كلمة الشعور أنها تفيد الإدراك بلا دليل والإحساس، ويقال عند الذم فلان لا يشعر، ويطلق على ما في النفس، وعلى ما يشتمل عليه العقل من إدركات وجدانية ونزعات.

واصطلاحاً فكلمة الشعور تعني الميل الذي يحصل تباعاً للطاقة الحيوية الكامنة في الإنسان. وبما أن الإنسان جُبِل على التفكير، فإن شعوره يكون متناسقاً مع فكره، فيحصل عنده ما يسمى بالإحساس الفكري، وهو تمثل للفكرة في الذهن أي تصور لها، بحيث يحدث تناسقاً مرهفاً لفكره مع شعوره أي مع ميله، ويكون لديه حينها إحساس فكريّ مرهف أي مفهوم... والإحساس الفكري المرهف يقوى ويضعف تبعاً لوضوح الفكرة وتصورها وتبلورها في الذهن...

وعليه فالإنسان يكيف سلوكه بفكره، والتكييف هو تناسق الفكر مع الشعور، وبمعنى آخر فإن مشاعر الكره أو الحبّ تتكيف بالفكر، فتميل المشاعر الحيوية حيث مال الفكر المبلور، وهذه الميول المتناسقة تكون مُركّزة حارة قويّة متينة...

أمّا بخصوص «الكُلّ الشعوريّ» فمفاده أن الشعور ليس المقصود منه الإنسان بفرديته، وإنما المقصود منه كُلّ الإنسان، وأن «كُلّ» الإنسان يكون له شعور كليّ ، وعليه يكون له ميل واحد

أي فكر واحد وشعور واحد، أي شخصية واحدة بعقلية متميزة ونفسية راقية، وهذا "الكُلّ" الذي أقصده هو الأمّة الإسلاميّة، وتحديداً الفئة المتميزة منها، التي كان لها إحساس عميق مرهف، وتركز عندها شعور الأمّة الكُليّ، فعبرت عنه بفكر نقيّ واضح مبلور...

لذا أعود لدراسة سر حياة التكتل أي نشأة الروح فيه. وبداية النشأة كانت بحصول هزات عنيفة جعلت الحيوية تَدبّ في الأمّة ، نتج عنها إحساس مشترك، وهذا الإحساس الجماعي يؤدي إلى عملية فكرية.

و تَرَكز الإحساس في من نالوا قدراً أعلى من الإحساس، وكان المبدأ مركز تنبههم الطبيعي، بعد تمركز الفكرة وانطباع إحساسات الجماعة فيهم... لقد أثمر غرس المبدأ فيهم الثمر الطيب، فتحركوا حركة وعي وإدراك، وكانوا عيون الأمة. وبوتقة صَهْرها... هذه الثلة انجذبت إلى مغناطيس المبدأ، فحلّقت بفكرها للعمل من أجل غاية واضحة محددة في كنف جو إيماني نقيّ، وتولّت العملية الصهرية، وذلك لإخضاع الواقع وتغييره، بإيجاد الطبيعة النقيّة في الأمّة، وتهيئة الكُلّ الشُعويّ فيها، وبتكوين الروح الجماعية، وإيجاد الاستعداد الجماعي فيها ، بناء على عالميّة المبدأ... على خلاف المدرسة التي تُهيئ الجزء الشُعوريّ، بثقافة رتيبة...

وعليه فالكُلّ الشُعوريّ هو نتاج فكرة عميقة، تركزت عند جهة متينة البنيان وطيدة الأركان ثابتة الكيان. والفكرة العميقة تتميز بالوضوح والبلورة والنقاء، وهي فكرة أساسية، تناسق معها شعور قويّ عميق، نتاج إحساسها فكريّ مرهف حار بحرارة المبدأ، فحصل التناسق بين القلب والعقل...

وهذا الإحساس الفكري ناتج عن إدراك حسيّ، بمعنى الإدراك الذي فيه إحساس مباشر بالواقع، كالإحساس بنعم الله والإحساس باحتياج الكون والإنسان والحياة لخالق مُدبّر، والإحساس بانحطاط المجتمع، والإحساس بِثِقَل حمل الدعوة...

فيكون ذلك الفكر قد عمّق ورسّخ في الإنسان الفاهم لشعوره، منطق الإحساس أو العقل المسند إلى الحس: قلت: يكون قد رسّخ فيه شعور «فكريّ» كُلّي، وبذلك الفكر نشأة روح التكتل وسرّ حياته... وتمثلت الفكرة في إنسان نقيّ، كان الخلية الأولى والنواة التي قامت على الفكرة بعمقها ووضوحها... وحين تجسد المبدأ لم يطق أن يبقى حبيساً، وسرعان ما تكاثرت الخلية الأولى إلى حلقة، فنبتت الكتلة، واحتاجت الكتلة إلى رابطة حزبية، وهي العقيدة التي تنبثق عنها فلسفة الحزب، والتي يتسم بمفاهيمها، فكان الحزب فكر وشعور يتبعه عمل في جو إيمانيّ.

إن الإحساس الفكري الذي تجسد

في الخلية الأولى فالكتلة، فالحزب، أحدث ثورة جامحة، فاحترق الشعور الكليّ بالفكر في الأشخاص الصالحين للتكتل، فشاعت وأشعَّت فيهم الدعوة وألهب الحماس شعورهم فكان الحماس تبعاً للوعي. وأصبح وجودهم من أجل المبدأ ومن أجل الدعوة، فكان المبدأ وحده مركز الدائرة الذي تدور حوله مصالحهم الشخصية. وكانت هذه الفئة المتميزة قد جعلت طريقة الربط العقيدة الإسلامية والثقافة الحزبية، فكانوا كالجسم الواحد، وترسّخ فيهم الكلّ الشعوري، حتى كان هواهم تبعاً لما جاء به محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وأحسوا إحساساً فكرياً عميقاً بالجزئية الحزبية، فعملوا على نمو الحزب وصونه، وتكثير خلاياه، بكل وعي وإدراك تامين، وذلك بإعداد الأشخاص الصالحين، أي بإيجاد التناسق بين فكرهم وشعورهم الكليّ، لكي يُمحى من قلوبهم الشك والسواد، وتقتلع الريبة والأحقاد، ويُزَال التذبذب والدوران حول منافعهم، واليأس من نفوسهم، والتقاعس والتعرض للمساومة... وحتى توجد الإرادة الصحيحة فيهم، أي توجد فيهم الرغبة المقترنة بأمر، حتى لا تفتر هممهم، وذلك بسقيهم بالثقافة الحزبية، التي توحد الهدف والعمل وخط السير لديهم. فيحصل الالتزام بالدعوة فقط والطاعة والتنفيذ، دون أي تقاعس...

إن الرابط الذي يربط بين أعضاء التكتل الواحد ليس مجرد فكرة التكتل أو مجرد حماسة تدفع للتكتل أو صداقات قديمة، أو لوجاهة الأعضاء، أو لمجرد اسم التكتل، أو أساس جمعيات محلية وإقليمية تهدف إلى غايات خيرية أو ثقافية أو خُلُقية، وإنما التكتل الصحيح يقوم على فكرة هي الروح لجسم الحزب، وهي نواته وسر حياته. وعليه كانت الناحية التكتلية تقوم على أربعة أمور وهي :

١ – الفكرة التي تم الاجتماع عليها.

٢ – الطريقة التي يسلكها.

٣ – مدى إيمان الأشخاص بالفكرة والطريقة.

٤ – الكيفية التي يتم بها الانضمام.

فتولدت الحركة الموتورية فيهم بوصفهم موتوراً اجتماعياً، وكان الحزب كله حاملاً للحركة الموتورية.

والحزب حين ينتقل من مرحلة التثقيف بمعالجة التناسق بين الفكر والشعور الكليّ، أي التناسق بينه وبين مجتمعه، بشكل إنشائي ارتقائي، فإنه سرعان ما ينتقل لمرحلة التفاعل مع الأمّة أي إيجاد الطبيعة النقيّة في الأمّة، بإنضاح الروح الجماعية والاستعداد الجماعي فيها. أي إيجاد العرف العام الناتج عن وعي عام، وذلك بالعمل الإصلاحي الانقلابي، وذلك لقيادة الأمة بالحركة الجماعية، حتى تمكنه (القوة) الكامنة في الأمّة من وضع الفكرة موضع التنفيذ...❑

بسم الله الرحمن الرحيم

نص كلمة الأستاذ أبو الحسن الأنصاري

التي ألقاها خلال ندوة «الإساءة لرسول الله» التي جرى تنظيمها يوم الأحد الموافق ٢٠١٢/٠٩/١٦م من قبل الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية – الكويت:

بسم الله القائل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾ والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين أبي القاسم محمد صلى الله عليه وسلم القائل: «**نصرت بالرعب مسيرة شهر**»، أما بعد..

أيها المسلمون،

ليست هذه هي المرة الأولى التي يتطاول فيها أعداء الإسلام من الأوروبيين والأميركان على مقدسات المسلمين، بل إن دول الكفر قاطبة لا توفر فرصة في التعدي والاعتداء على هذه الأمة ومقدساتها، إنها من حقدها على الإسلام وبغضها لله ولرسوله ولحملة رسالته تفتح الباب، بل المنابر، تحت مسميات متعددة، وبشكل قانوني معلن ومخفي، للحاقدين على الإسلام للتعدي عليه وعلى كل ما له علاقة به. إنهم في حرب حقيقية مستمرة ضد رب العالمين، ضد القرآن الكريم، ضد العقيدة الإسلامية، ضد نبي هذه الأمة صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾

أيها المسلمون،

إن السبب في استضعاف المسلمين والإساءة إلى مقدساتهم المرة تلو الأخرى، أن الغرب الكافر لا يخشى تحمّل أي تبعة سياسية أو اقتصادية أو عسكرية لهذه الإساءات. والواقع المحسوس اليوم ينطق بذلك. فلم تُقطع أية علاقة دبلوماسية، ولم تلغ أي صفقة سلاح، ولم تغلق أي قاعدة عسكرية، ولم يسحب أي دولار من بنوكهم، ولم تمنع قطرة بترول واحدة عن أسواقهم. فممَّ يخشى الغرب الكافر إن أساء للإسلام وقرآن الإسلام ونبي الإسلام؟! أيخشى الحكامَ في بلاد المسلمين، وهم قد وضعوا الإسلام خلف ظهورهم، فعطلوا أحكامه ومنعوا ذروة سنام الإسلام، الجهاد؟!

أيها المسلمون،

قد حدث في أواخر القرن التاسع عشر ١٨٩٠م أن قدّم الكاتب الفرنسي "ماركي دي بوريز" مسرحية لتعرض على مسرح الكوميدي فرانسيز، وقد كان فيها شيء من إساءة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرسل خليفة المسلمين حينئذ السلطان عبد الحميد إلى فرنسا بمنع عرض المسرحية، ليس فقط على مسرح فرانسيز، بل على كل المسارح الموجودة في فرنسا، فخضعت فرنسا لأمره واتخذت قراراً بذلك، وأرسلت للسلطان رسالة جاء فيها: "نحن على ثقة بأن هذا القرار الذي اتخذناه تلبية لرغبات حضرة السلطان سيعزز بيننا العلاقات القلبية..."، ولما حاول كاتب المسرحية أن يعرضها في إنجلترا وبدأ الإعداد بعرض المسرحية على مسرح اللسيوم الشهير علم السلطان فأرسل بمنعها، فمُنعت، واعتذرت بريطانيا التي كانت عظمى آنذاك عن الإعدادات التي تمت لعرض المسرحية... حتى قبل عرضها.

أيها المسلمون،

إنّا نطالب بإغلاق السفارة الأميركية وإلغاء الاتفاقية الأمنية وسحب الأرصدة من البنوك الأميركية والأوروبية ووقف تصدير البترول لهم.

ولئن نعود إلى اللبن والتمر نصرةً لرسول الله خيرٌ لنا من الأرض وما عليها.

أيها المسلمون،

ها هي الأمة قد تجاوزت المليار مسلم وتغضب غضبة رجل واحد ولكنها لا تستطيع رد الإساءة والاقتصاص لرسولها الكريم.

إن الخلافة وحدها هي التي تقطع ألسنة السوء، وكلمة من أمير المؤمنين يصدح بها قائلاً: «**من لي برأس المسيء**» «**لا نجوت إن نجا**» تبقي حصن الإسلام منيعاً. فالله سبحانه يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به**».

وصلى الله على سيدنا محمد والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.❑

مديرCIA يجري محادثات سرية في تركيا ويبحث الآلية التنفيذية لسوريا ما بعد الأسد

قام مدير المخابرات المركزية (CIA) ديفيد باتريوس في ٣ أيلول ٢٠١٢م بزيارته الثانية لتركيا بعد انقطاع دام ستة أشهر. وقد أفادت بعض التسريبات الإعلامية عن محادثاتٍ سرية لـ «باتريوس» مع نظيره التركي مستشار هيئة المخابرات القومية حاكان فيدان وببعض المسؤولين، ثم ذهابه بعد ذلك إلى (إسرائيل). وجاءت زيارة مدير المخابرات المركزية (CIA) ديفيد باتريوس في إطار الزيارة التي سبق وأن أجرتها وزيرة الخارجية الأميركية هيلاري كلينتون بخصوص ما بات يُعرف بـ «الآلية التنفيذية». وقد تم أثناء هذه المحادثات تناول مواضيع عدة منها الوضع الذي سيظهر في سوريا ما بعد نظام الأسد، وتشكيل حكومة مشتركة للمرحلة المؤقتة مؤلفة من أطياف المعارضة بالإضافة إلى البعثيين، والشكل الذي سيُطلق على هذه الحكومة، ووجود الجماعات الإسلامية المتشددة، وضرورة حساب عملية التوازن بشكل جيد، والأسلحة الكيماوية بالإضافة إلى موضوع العشائر التي تدعم الثورة.❑

الجنرال محمد الزعبي: انهيار وشيك للآلة العسكرية لنظام بشار

أكد الجنرال المنشق عن نظام بشار محمد الزعبي بأن الآلة العسكرية للأسد توشك على الانهيار التام بسبب نقص الوقود والغذاء، ووجود مشكلات تتعلق بإعادة تموين الجنود. وحسب الجنرال محمد الزعبي، فإن البنزين قد نفد تقريباً، وكذلك الصواريخ توشك على النفاد، ولا يوجد خبز أو ماء للجنود. ويضيف الجنرال المنشق في تصريحات خاصة لصحيفة «الغارديان» البريطانية «الجنود متوترو الأعصاب ومنهكون وجياع».وطبقاً للصحيفة، انشق الزعبي قبل شهرين برفقة الجنرال في سلاح الجو سعيد شوامرا، وخرج من قاعدة تفتناز الجوية في منتصف الليل، وانطلق من مدينة حلب عبر الحدود إلى تركيا. والأربعاء الماضي عاد إلى سوريا، ومهمتهما الآن إكمال الثورة ضد الأسد. وكان الرجلان وهما من محافظة درعا، من بين نحو ١٠٠ من كبار القادة العسكريين الذين انضموا إلى الثوار بعدما روعتهم الحرب الوحشية التي يشنها الأسد على شعبه وينسجم ما قاله الزعبي مع رؤية الجنرال روبرت مود، الرئيس السابق لبعثة مراقبة الأمم المتحدة في سوريا، للأزمة. فقد صرح لوكالة «رويترز» بأنها مسألة وقت أمام نظام يستخدم مثل هذه القوة العسكرية الثقيلة والعنف غير المتناسب ضد السكان المدنيين قبل أن يسقط. وتابع قائلاً، إنه في كل مرة يقتل ١٥ شخصاً، يحتشد ٥٠٠ من المتعاطفين الإضافيين، ١٠٠ منهم من المقاتلين، إلا أن مود قال إن الأمر ربما يستغرق أشهراً قليلة قبل أن يسقط النظام.❑

إعلامي منشق من القصر الرئاسي: الأسد ينام ساعة واحدة.. ويشاهد ١٦ قناة تلفزيونية

قال الصحافي السوري المنشق عن المكتب الإعلامي في القصر الرئاسي في سوريا، عبد الله العمر، إن «الرئيس السوري بشار الأسد بات منذ ستة أو سبعة أشهر قلقاً جداً ولا ينام سوى ساعة واحدة أو ساعتين»، وذكر العمر، الذي شكل انشقاقه ومغادرته سوريا مفاجأة، باعتبار أنه من العاملين في المكتب الرئاسي الإعلامي والذي غالباً ما يتم اختيار أعضائه بدقة، أن الأسد «يتلقى تقارير يومياً من كل أنحاء العالم من خلال السفارات السورية والمخابرات العاملة فيها، تتضمن معلومات عمن انشق ومن سافر وكل ما يتعلق بأخبار سوريا». وأشار إلى أن الأسد كان يجلس أمام ١٦ قناة فضائية ويستمع إلى كل واحدة منها من خلال تحكمه بجهاز الريموت كونترول، فيما كانت القنوات السورية الرسمية والقنوات الداعمة للنظام في أسفل الشاشة. وأكد أن «كل من يدخل إلى مكتب الأسد يجب ألا يحمل سلاحاً، حتى ماهر الأسد وآصف شوكت كانا يخضعان لتفتيش من قبل ضباط القصر الجمهوري». وأشار إلى تفتيش دقيق يخضع له كذلك موظفو القصر الذين يدخلون بعد نزع أحذيتهم وجواربهم ويمرون في أجهزة مراقبة. ❑

جراح فرنسي: جهاديون ينضمون للقتال في حلب سعيا لاقامة دولة إسلامية

قال جراح فرنسي قام بعلاج مقاتلين في حلب إن مقاتلين إسلاميين يسعون لتحويل سوريا إلى دولة دينية يتزايدون في صفوف المعارضة المسلحة التي تقاتل لإسقاط الرئيس بشار الأسد ويعتقدون أنهم يخوضون «حرباً مقدسة».وعاد جاك بيريه الذي شارك في تأسيس منظمة أطباء بلا حدود «الخيرية» من سوريا بعد أن أمضى أسبوعين يعمل سراً في مستشفى بمدينة حلب المحاصرة في شمال البلاد.وفي مقابلة مع رويترز بشقته في وسط باريس قال بيريه: إنه على خلاف ما شاهده في زياراته السابقة إلى حمص وإدلب في وقت سابق من العام الحالي، فإن نحو ٦٠ في المئة ممن عالجهم هذه المرةكانوا من مقاتلي المعارضة، ونصفهم على الأقل ليسوا سوريين.وقال الطبيب «في الحقيقة كان ما رأيته شيئاً غريباً. إنهم يقولون بشكل مباشر إنهم ليسوا مهتمين بسقوط بشار الأسد بل مهتمون بكيفية الاستيلاء على السلطة بعد ذلك وإقامة دولة إسلامية تطبق الشريعة لتصبح جزءاً من دولة عالمية.»❑

سانا : السوريون لن يتمكنوا من أداء مناسك الحج بسبب النزاع مع السعودية

أعلنت السلطات السورية أن المواطنين السوريين لن يتمكنوا من أداء مناسك الحج هذا العام، بسبب النزاع القائم مع السعودية.وذكرت وكالة الأنباء السورية «سانا» أن الجانب السوري نفذ كل الإجراءات المطلوبة تمهيداً لموسم الحج، غير أن الجانب السعودي لم يصدر موافقته في الموعد المناسب. ونقلت «سانا» عن لجنة الحج العليا في سوريا إعلانها عن «توقف موسم الحج لهذا العام نظراً لعدم إبرام وزارة الحج السعودية اتفاقية الحج في موعدها المحدد».❑

الجنرال ميشال عون: إما الأسد أو القرن الرابع عشر

حذر الزعيم المسيحي اللبناني ميشال عون المتحالف مع حزب الله حليف نظام بشار الأسد «إن تغيير النظام في سوريا قد يقضي علينا (أي على المسيحيين) وعلى لبنان؛ لأن الأنظمة التي ستاتي تفكيرها يرجع إلى القرن الرابع عشر».وأضاف عون الذي يملك تياره السياسي مع حلفائه وأبرزهم حزب الله الأكثرية في الحكومة، «منهم من يقول: فليحكم الإخوان، فهل يعرف هؤلاء ما هي «شريعة» الإخوان؟ يذكر أن الأقليات المسيحية في سوريا تقيم علاقات جيدة مع الأقلية العلوية الحاكمة التي ينتمي إليها الرئيس بشار الأسد، علماً أن غالبية السكان (١٨ مليوناً) هم من السنة (٨٠ بالمئة).❑

الجيش المصري: مصر و(إسرائيل) تنسقان سوية لضرب «متشددي» سيناء

قال متحدث باسم الجيش المصري (العقيد أحمد محمد علي) في مؤتمر صحفي في القاهرة: «إن مصر و(إسرائيل) تنسقان بشأن أكبر حملة أمنية للقوات المصرية ضد متشددين في سيناء» قتل فيها ٣٢ شخصاً وذلك في أول تصريح واضح عن اتصالات بين الجانبين.وتخشى (اسرائيل) أن يكون «متشددون» إسلاميون ربما لهم صلة بتنظيم القاعدة قد أقاموا موطئ قدم في المنطقة الحدودية بسيناء منذ الإطاحة بالرئيس حسني مبارك العام الماضي.وعندما سئل إن كانت مصر تنسق مع الولايات المتحدة بشأن سيناء قال «علاقات التعاون بين مصر وأميركا هي علاقات استراتيجية على فترة طويلة جداً. التعاون ليس فقط في إطار التعاون متعدد المجالات...»وأضاف أنه تم تدمير نحو ٣١ نفقاً تستعمل في تهريب البضائع إلى قطاع غزة الذي تسيطر عليه حركة حماس. وتجارة الأنفاق أساسية لاقتصاد غزة الذي يعاني من الحصار (الإسرائيلي) للأراضي الفلسطينية المفروض منذ عام ٢٠٠٦م.❑

أموال مصر المنهوبة تتجاوز ثلاث تريليونات دولار .. وعقبات لاستردادها

أفاد المحامي المصري والنائب في مجلس الشعب عصام سلطان أن إجمالي الأموال المصرية المهربة بلغت ٣ تريليون دولار أميركي. وأشار سلطان أن مجموعة من المحامين ورجال القانون شكلوا لجنة لاسترداد أموال مصر المنهوبة من الخارج. يذكر أن حجم الأموال المهربة يوازي ميزانية مصر لأكثر من عشر سنوات، ويكفي لحل كل مشاكل وأزمات مصر الاقتصادية. وقد أكد طارق عامر رئيس مجلس إدارة البنك الأهلي واتحاد البنوك، أن استرداد الأموال المهربة من الخارج لن يتم إلا بالضغط على «رموز نظام مبارك»، وأصحاب الأموال والأصول المهربة، والحصول على اعترافات وإفصاحات تفصيلية في التحقيقات عن المعلومات المتعلقة بحساباتهم وأرصدتهم البنكية في الخارج وحقيقة الثروات التي يمتلكونها، وحركة الأموال عن طريق تلك الحسابات. وأكد رئيس مجلس إدارة البنك الأهلي واتحاد البنوك أن

استرداد الأموال المهربة يتم بالتعاون مع الجهات القضائية في مصر ومثيلاتها في الدول التي تستضيف تلك الحسابات والأموال والأصول المنهوبة، وتؤول تلك الأصول والأرصدة المالية إلى الدولة بناء على أحكام قضائية نهائية تثبت حصول صاحب الأموال المهربة عليها بطرق غير مشروعة، موضحاً أنها تحتاج إلى تعاون الجهات القضائية في تلك الدول لتتبع حركة الأرصدة.❑

تونس تسترد ١٣ مليار دولار من ممتلكات بن علي

أعلن وزير الأملاك التونسي سليم بن حميدان أن الحكومة استرجعت ما قيمته نحو ١٣ مليار دولار من الممتلكات التابعة للرئيس التونسي المخلوع زين العابدين بن علي.ونقلت «بوابة الأهرام» عن وكالة الأنباء التونسية أن رئيس «لجنة المصادرة» نجيب هنان قال إن أعمال اللجنة التي تتمثل مهمتها في «مصادرة أملاك عائلة بن علي وأصهاره والمقربين منه، أظهرت حتى الآن وجود ٣٩٨ شركة مساهمة وحوالي ٤٠٠ عقار إلى جانب قيمة كبيرة من المنقولات». وأكد نجيب هنان «وجود ذمة مالية كبيرة مصدرها الفساد، موجودة خارج تونس وتربط أصحابها علاقات مالية بشبكات دولية موجودة في دول أوروبية».❑

«صديقة» سيف القذافي (الإسرائيلية) تخشى محاكمته داخل ليبيا

تبدأ في ليبيا هذا الشهر محاكمة سيف الإسلام القذافي الابن الأكبر لحاكم ليبيا السابق معمر القذافي، بعد أن رفضت السلطات الليبية إخراج سيف الإسلام من بلاده ليحاكم أمام المحكمة الجنائية الدولية.أورلي وينرمان ممثلة وعارضة (إسرائيلية) وعشيقة لسيف القذافي بدأت حملة تدعو فيها إلى محاكمته خارج ليبيا حتى تكون له الحرية في الدفاع عن نفسه كما تقول، معتبرة أن لا ضمانات داخل ليبيا لتأمين محاكمة عادلة له.❑

مقتل مكتشف مخبأ القذافي في مستشفى بباريس

توفي في إحدى المصحات الباريسية بفرنسا، الليبي عمران جمعة شعبان، الذي ينحدر من مدينة مصراتة، وكان عمران أول من اكتشف مخبأ العقيد الراحل معمر القذافي في ٢٠ أكتوبر من العام الماضي بسرت وألقى القبض عليه. وحسب صحيفة «الشروق» الجزائرية، فإن شعبان توفي متأثراً بآثار التعذيب التي تعرض لها بعد اختطافه من قبل موالين للعقيد بمدينة بني وليد، وتعرض للتعذيب بشتى أنواعه فلم يقاوم، وقضى نحبه أياماً فقط بعد إطلاق سراحه إثر تدخل الدكتور محمد المقريف رئيس المؤتمر الوطني العام الليبي (البرلمان)، وهي أعلى سلطة في ليبيا. وتعرض شعبان للاختطاف أثناء عودته من مدينة مزدة، حيث كان مكلفاً بمهمة من قوات درع ليبيا التابعة للجيش الوطني الليبي، ونقل إلى مدينة بني وليد، حيث بقي محتجزاً هناك لمدة خمسين يوماً، وفيها تم استنطاقه لمعرفة طريقة القبض على العقيد، قبل أن يطلق سراحه وحده فيما بقي زملاؤه رهن الحجز.❑

فويجر..أول مسبار أرضي 'يرقص على حافة' النظام الشمسي

قبل ٣٥ عاماً، غادر المسبار الأميركي فويجر-١ كوكب الأرض في الخامس من أيلول/سبتمبر ١٩٧٧م وانطلق في رحلة إلى آفاق النظام الشمسي التي كانت مجهولة قبل ذلك للإنسان. وتعمل فرق علمية عدة على تحليل المعلومات الواردة من المسبار الذي يطلع على حقائق جديدة حول النظام الشمسي، على غرار ما جاء في تقرير نشر الأربعاء عن «منطقة عبور» قبل حدود المجموعة الشمسية مع الفضاء الخارجي تسمى الغلاف الشمسي. وأطلق برنامج «فويجر» التابع لوكالة الفضاء الأميركية (ناسا) المسبارين فويجر-١ وفويجر-٢، كل إلى وجهة، بفارق شهر بين إطلاق الأول والثاني.والهدف من هذين المسبارين هو دراسة الكواكب البعيدة في المجموعة الشمسية أي المشتري وزحل وأورانوس ونبتون.ومنذ ذلك الحين، انطلق المسباران في رحلة إلى أقاصي النظام الشمسي، وقد وصل فويجر-١ إلى حدود هذا النظام، ليصبح بذلك أول آلة من صنع البشر تتخطى حدود النظام الشمسي وتصل إلى الفضاء الخارجي.وسيخرج فويجر-١ من النطاق الشمسي حيث تسبح الأرض والكواكب الأخرى في المجموعة الشمسية، ليدخل في منطقة الغاز ما بين النجوم والمجرات الذي تتشكل منه النجوم. وفي العام ٢٠٠٤م، دخل المسبار ما يسمى «صدمة النهاية» وهي المنطقة التي تنخفض فيها العواصف الشمسية بصورة مفاجئة، ليخوض غمار المنطقة المعروفة بـ «القشرة الشمسية».لكن الشيء الذي لا يستطيع العلماء تحديده بدقة، هو متى يجتاز المسبار الحدود الفاصلة بين المنطقتين، أو الغلاف الشمسي، الذي ما زالت معلومات الإنسان عنه محدودة.ويقدر العلماء أنهم سيواصلون استقبال معلومات من المسبارين حتى العام ٢٠٢٠م وربما العام ٢٠٢٥م. ❑

مسؤول في صندوق النقد: ساسة لبنان أخطر على الاقتصاد من سوريا

قال مسؤول رفيع بصندوق النقد الدولي إن الصندوق يعتقد أن الصراع في سوريا ليس له تأثير يذكر حتى الآن على الاقتصاد اللبناني، وإن ما يقلقه أكثر هو ضعف عملية وضع السياسات في الحكومة اللبنانية. وقال مسعود أحمد مدير شؤون الشرق الأوسط وآسيا الوسطى بالصندوق خلال مقابلة بالدوحة «حتى الآن تجاوز الاقتصاد اللبناني الصدمات الخارجية بشكل جيد نسبياً. لو نظرت للودائع والاحتياطيات فهي مازالت قوية».وأضاف «توقعاتنا للبنان هي أنه أكثر تأثراً بحقيقة أن هناك بعض التباطؤ في الاستثمارات الداخلية نتيجة الشلل السياسي هناك وبدرجة أقل بما يحدث في سوريا بشكل مباشر».ويشتكي رجال أعمال واقتصاديون بالقطاع الخاص من أن الحكومة اللبنانية بطيئة في إصلاح المالية العامة للدولة وتحسين البنية التحتية وأخذ خطوات أخرى لتحفيز النمو الاقتصادي. وأحد أسباب هذا الوضع هو التوترات الطائفية داخل الحكومة والتي تفاقمت بسبب الحرب في سوريا. ❑

وصول حوار الأديان إلى طريق مسدود بعد توقيع البنديكتوس «الإرشاد الرسولي» وتحول الحوار إلى حوار طرشان

بعد سنوات من دعوات الحوار بين الأديان، يبدو أن الحوار بين دعاة المسلمين والمسيحيين في الشرق الأوسط مُرشّح للمزيد من الاحتقان بعد توقيع بابا الفاتيكان على «الإرشاد الرسولي» رغم مُطالبة «الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين» (الحبر الأعظم) — في بيان شديد اللهجة نُشر على موقع رئيس الاتحاد الشيخ يوسف القرضاوي — بعدم التّوقيع عليه.وجاء في بيان «الاتحاد» أن «ما يُسمّى بالارشاد الرسولي يتضمن مجموعة من الرسائل والأفكار الخطيرة، منها الدعوة الواضحة إلى تنصير العالم، ومنها التحذير من أسلمة المجتمع الإسلامي وتخويف المسيحيين من الإسلام السياسي في المنطقة، مما يساعد على إشعال نار الفتنة بين شركاء الوطن سيما فى ظل محاولات بعض المسيحيين لنشر فيلم يسيء إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم».وأضاف البيان «الغريب أن البابا فى الوقت الذي يحذر من الإسلام السياسى يمارس هو نفسه المسيحية السياسية من أوسع أبوابها». وطالب «الاتحاد» البابا بنديكتوس السادس عشر بـ «الاعتذار للمسلمين عما قاله بحق الإسلام في إحدى محاضراته وعما حدث من مجازر على أيدي الصليبين فى الشام والأندلس كما اعتذر لليهود». ويعيش في الشرق الأوسط حوالى عشرين مليون مسيحي، من بينهم خمسة ملايين كاثوليكي، من أصل ٣٥٦ مليون نسمة غالبيتهم الساحقة من المسلمين.❑

السفارة الأميركية ببيروت قامت بإتلاف وثائق سرية ضمن تدابير أمنية

نقلت وكالة «اسوشيتد برس» عن مصدر قوله إن السفارة الأميركية في بيروت قامت بإتلاف وثائق سرية ضمن تدابير أمنية بخصوص سلسلة المظاهرات والهجمات ضد السفارات والقنصليات الأميركية في العالم بسبب الفيلم المسيء للإسلام. وذكر المصدر الذي رفض الإفصاح عن اسمه «إن هذا الإجراء يعتبر اعتيادياً من قبل موظفي السفارة في حالات الطوارئ».ويشار إلى أن السفارة قلصت ساعات العمل اليومي للموظفين من السكان المحليين العاملين في البعثة الدبلوماسية مؤخراً. ويؤكد العاملون في البعثة أن السفارة لم تخضع لأي تهديدات لأنها محمية جيداً. ولم تصدر أنباء بعد عما إذا كانت هذه الإجراءات الاحترازية بدأ العمل بها في سفارات أميركية أخرى.❑

بسم الله الرحمن الرحيم

ليكن حجنا هذا العام حجاً على منهاج النبوة، وليكن شعاره: «هذا آخر حج بدون إمام»

يقول الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ **يذهب المسلمون كل عام إلى الحج ليلتقوا كلهم على صعيد واحد تتجلى فيه وحدة المسلمين في الشعائر والمشاعر والحال والهدف، في مشهد مهيب يخشاه أكثر ما يخشاه أعداء المسلمين من دول الكفر وأذنابهم من حكام المسلمين حيث لا إقليمية ولا عنصرية ولا عصبية للون أو جنس أو طبقة ولا حدود؛ فالرب واحد، والدين واحد، والقبلة واحدة، والأمة واحدة، والهدف واحد. إن فريضة الحج تذكر المسلم بعظيم قدرة الله، وتذكره بالقيام بأمر الله في الدنيا والعمل لإعزاز دينه، والتضحية في سبيله، والسعي في رضاه، والتوكل عليه وحده، والثقة بجميل وعده، وتذكره بالآخرة. فالحج يربط الدنيا بالآخرة برباط الطاعة لله وحده.**

من هذه المعاني ينطلق موسم الحج في كل عام منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهذا العام يأتي موسم الحج وللمرة الثانية في ظل ثورات متوالية تريد خلع هذه الأنظمة الجبرية التي سلطت عليها عقوداً من الزمان. وتنادي بالتغيير وتنتظر موعودها من الله تعالى: **خلافة راشدة على منهاج النبوة**، وهي تضحي من أجل ذلك بالغالي والنفيس بالرغم من الهجمة الفكرية والعسكرية والإعلامية الغربية التي تريد حرفها وصرفها عن أهدافها الحقيقية.

يحل موسم الحج هذا العام، والمسلمون قد بدؤوا يتلمسون طريق العزة التي تشرف على ماضيهم العريق زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته عبر المضي قدماً في حل مشاكلهم وإنهاء نكباتهم عن طريق تطبيق أحكام الإسلام عليهم... يذهب المسلمون إلى الحج هذا العام آملين أكثر من أي عام مضى أن ينتهي إجرام الحكام وإجرام أميركا ودول أوروبا بحق المسلمين في أفغانستان والعراق، ويهود في فلسطين، والروس في الشيشان، والهندوس بحق مسلمي كشمير، وما اقترفه الأسد المجرم بحق المسلمين في سوريا... يذهبون إلى الأماكن الطاهرة وقلوبهم تتطلع إلى وحدة المسلمين جميعاً تحت إمرة خليفة

يجمعهم تحت راية رسول الله، ويسطر لهم آيات النصر والعز في ساحات الجهاد... يذهبون ونفوسهم تتشوَّف أن يكون هذا الخليفة أمير حجِّهم يخطب فيهم وينصح لهم وينقل إليهم أخبار الفتوحات وخطته للعام المقبل، وهم يشكون له همومهم ليقتص لهم ...

يجب أن يذهب المسلمون الى الحج وهم ساعون لتحقيق معاني الخيرية والشهادة على الناس، ويرفعوا شعار: الأمة تريد خلافة إسلامية، ويطالبوا بـ: رأس واحد لجسد واحد، ويحملوا رسائل عدة إلى كل المعنيين بأمة الإسلام مفادها أن يكون موسم الحج هذا العام آخر حج بدون خليفة واحد للمسلمين، ويأخذوا الميثاق على أنفسهم للإطاحة بكل حكام الجور، والعهد على الاستمرار بالثورة حتى إقامة دولة الإسلام، والقسم بعدم السماح بالعودة إلى حالة الوهن التي أصابت الأمة... نعم، على كل مسلم أن يعاهد الله على جبل عرفات وأمام الكعبة أن يعمل مع العاملين المخلصين لإقامة دولة الإسلام.

إن فريضة الحج يجب أن تأخذ فاعليتها ودورها في حياة المسلمين كما كانت زمن الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده. ويجب على المسلمين وهم يؤدونها:

- أن يتطلعوا إلى تغيير شامل على أساس الإسلام، وأن يوجهوا الذين هم من البلاد التي قامت فيها الثورات إلى إقامة شرع الله في بلاهم بإقامة الخلافة، وحث المسلمين الذين هم من بلاد لم تحدث فيها ثورات إلى الالتحاق بعملية التغيير الإسلامي الصحيح... والدعاء إلى الله أن يوفقهم في مسعاهم ويغيِّر لهم التغيير الصحيح.
- أن يوجهوا الدعوة إلى علماء الأمة أن يأخذوا دورهم في عملية التغيير من غير أي تقصير، وأن يؤدوا الميثاق الذي أخذه الله عليهم ليبيننُّ الحق ولا يكتمونه، وأن يكونوا في مقدمة الصفوف، وأن يستغنوا عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين... والدعاء إلى الله سبحانه أن يصلح علماء الأمة، وأن يقيِّض لهم منهم علماء ربانيين يقولون بالحق ويقومون به لايخافون في الله لومة لائم.
- أن يدعوا المسلمين أن يقفوا في وجه حكامهم الذين هم عملاء للغرب ويتصرفون كأعداء للأمة: أفقروها وأذلوها وأفسدوها وضيَّقوا عليها وجعلوا لأعدائها سلطاناً عليها، وأقصوا الإسلام عن الحكم وعن حياة المسلمين إلا من بعض أحكامه، وفرضوا عليهم دساتير الكفر ليحكموا بها... ودعوتهم إلى الأخذ على أيديهم والعمل على تغييرهم بالطريقة الشرعية التي توجد الإسلام مطبقاً في واقع الحياة.
- أن يوجهوا رسالة إلى جيوش

المسلمين، فهي القادرة على حسم الأمور لصالح الثورات، وهي القادرة على النصرة، والواجب الشرعي عليهم أن يقفوا في وجه الظالمين، وأن يكونوا أصحاب القوة والمنعة لهذا الدين، ولهم كلمة الفصل في إزالة الأنظمة العميلة من جذورها، ثم مبايعة خليفة للمسلمين. فماذا ينتظرون؟! أليسوا إخوتنا وأبناءنا؟! أما يحبون أن يكونوا أنصار الخلافة الراشدة الثانية؟!

- أن يحذروا المسلمين من الغرب وأفكاره الكافرة وأحكامه الفاجرة من أن تتحكم بالمسلمين في عملية التغيير التي تجري حالياً في بلاد المسلمين، وذلك من مثل الدعوة إلى الدولة المدنية، والديمقراطية... والدعاء إلى الله أن يمكن لهم ليعيشوا في رحاب الإسلام.
- أن يحدثوا غيرهم من المسلمين عن الإسلام وأحكامه العظيمة وفشل الحضارة الغربية بأفكارها وطريقة عيشها، وأن العالم بأسره، وليس المسلمون وحدهم، بحاجة إلى الإسلام كحضارة وأنظمة حياة تصلح للبشرية جمعاء.
- أن يدعوا المسلمين إلى توحيد ديارهم في دار الإسلام الواحدة، يدعوهم إلى التوحد على الإسلام ليكونوا أمة واحدة كما أمرها الله سبحانه، ويكونوا إخوة متوادين متراحمين متعاطفين كالجسد الواحد كما ذكَّر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- أن يدعوا المسلمين أن يعملوا لأن يكون هذا الحج هو آخر حج بلا أمير، حجاً يؤمه الخليفة أو من ينيبه، فيتحدث إليهم كما تحدث الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع عن الأمة، ويذكرهم بجوامع كلم الإسلام، ويقدم لهم كشفاً عن الفتوحات، ويستمع إلى عماله في سياستهم للرعية، ويمدحهم على حسن رعايتهم إن هم أحسنوا، ويقتص منهم إن هم أساؤوا كما كان يفعل عمر رضي الله عنه.

هذه دعوة لإعادة الحج إلى مكانته ودوره كما كان زمن رسول الله وصحابته الكرام، إنها دعوةلأن تمارس شعائر الحج على منهاج النبوة ليكون كما يحبه الله ورسوله.

إن شعيرة الحج التي يجتمع فيها سنوياً الملايين، ويحرم منها عشرات الملايين، هي مظهر من مظاهر وحدة المسلمين وقوتهم. ودول الكفر ترهب هذه الشعيرة وترتعد لها فرائص الحكام العملاء، إذ هي مؤتمر سنوي يجمع المسلمين من جميع أصقاع العالم على صعيد واحد من التوجه إلى الله في العبادة وطلب الفرج والنصر، ولا يحتاج إلا إلى أمير يؤمه. إن استلهام حج الرسول والخلفاء الراشدين يجعلنا نعيد لهذه الشعيرة مضاءها. ولنسترجع معاً خطبة

الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع؛ لنقتبس منها المعاني الكبيرة لننسج حجنا على منوالها؛ فيكون حجاً على منهاج النبوة بإذن الله:

خطبة حجة الوداع:

في اليوم التاسع من ذي الحجة من السنة العاشرة للهجرة النبوية، وقف نبي الهدى في بطن الوادي وهو على ناقته القصواء، وحوله أربعون ألفاً من الصحابة ما بين راكب وواقف حتى بلغوا مدَّ البصر، وفيهم ربيعة بن أمية بن خلف الذي كان يصرخ في الناس بقول رسول الله. فكانت هذه الخطبة البليغة التي افتتحها بقرب أجله:

«**أيها الناس، اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً. إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا. ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث، وكان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول رباً أضع من ربانا ربا عباس بن عبدالمطلب، فإنه موضوع كله. فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهنَّ ضرباً غير مبرح، ولهنَّ عليكم رزقهنَّ وكسوتهنَّ بالمعروف. وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله. وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء، وينكتها إلى الناس اللهم اشهد .. اللهم اشهد .. اللهم اشهد. وبعد أن فرغ النبي من إلقاء الخطبة نزل عليه قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ وعندما سمعها عمر بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: إنه ليس بعد الكمال إلا النقصان.**»

بهذه الخطبة البليغة قرر رسول الله قواعد الإسلام، وهدم قواعد الشرك والجاهلية، وقرر فيها تحريم المحرمات التي اتفقت الملل على تحريمها، وهي الدماء والأموال والأعراض، ووضع فيها أمور الجاهلية تحت قدميه، وأوصاهم بالنساء خيراً، وبشَّر الأمة بأنها لن تضل أبداً ما دامت معتصمة بكتاب الله. ثم أخبرهم بأنه مسؤول عنهم عند ربهم، بل واستنطقهم فقالوا بلسان واحد: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت.

وخطب النبي يوم النحر -عاشر ذي الحجة- حين ارتفع الضحى، وهو على بغلة شهباء، والناس بين قائم وقاعد. وأعاد في خطبته هذه بعض ما كان ألقاه أمس، ثم زاد عليها: «**أيها الناس** ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ **إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السماوات والأرض. السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم، ثلاث متواليات، ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان.»**

واستمر الرسول في خطبته هذه قائلاً: «**أي شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس ذا الحجة؟ قلنا: بلى. قال: أي بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليست البلدة؟ قلنا: بلى. فأي يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى. قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا في شهركم هذا. وستلقون ربكم، فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض. ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد. فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع.**»

لقد اكتمل الدين وأتم الله الشريعة الخالدة. حتى الآداب التي تعلمها الصحابة من نبيهم قد بلغت قمتها، فقد كانوا قبل ذلك يقدمون بين يدي الله ورسوله حتى أنزل الله فيهم قرآناً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ فهاهم اليوم، يوم اكتمال الدين عندما سألهم نبيهم أي شهر هذا؟ لم يجب أحدٌ منهم وهم يعلمون أنه الشهر الحرام. بل أجابوا جميعاً إجابة التأدب مع نبيهم: الله ورسوله أعلم. ثم كرر عليهم السؤال للمرة الثانية والثالثة، ورغم معرفتهم بالإجابة إلا أنهم أجابوا جميعاً: الله ورسوله أعلم. حتى قال: أليس ذا الحجة؟ .. أليست البلدة؟ .. أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى .. بلى .. بلى.

هذه رسالة لإعادة الحج إلى مكانته كما كان زمن الرسول ﷺ والخلفاء في الماضي لاستلهامه، والعودة إلى السيرة النبوية التي يعيش الحاج على أرضها، ويتأمل حركتها، وهجرتها، وبيعتها... العودة الى الحقبة التاريخية التي تحتل موقع القدوة. ففيها الدروس والعبر التي تعالج واقعنا، والتي اكتملت على عين بصيرة من الوحي المرسل من الله سبحانه وتعالى... العودة إلى الخلافة على منهاج النبوة، هذا المنهاج الذي يصلح لكل عصر من العصور لحل كل مشاكل الحياة المتجددة دون التنازل عن الثوابت الإسلامية، وما يميز الإسلام عن غيره هي ثوابته التي لا تتغير مهما تغيرت الظروف، فلا حاجة معه للتنازل، ولا لمسايرة للواقع، ولا لاستعارة الدولة المدنية أو الديمقراطية الكافرة الفاجرة.

من هذا الوجه يجب بحث موضوع الحج، من وجهة نظر الإسلام، وأن ينظر

إليه بعين إسلامية لا مصلحية مادية ولا شعائر فردية فحسب، بل يجب أن يكون الحج على منهاج النبوة لتحقيق معناه الذي أراده، الله لا الذي أراده الحكام والأوقاف، بل يجب أن يكون حجاً يتم بعده تسيير الجيوش للتحرير والفتح.

إن الحج عبادة تتفرد عن سائر العبادات أنه يرتكز عليها بناء الإسلام، ويجتمع المسلمون فيه من كل حدب وصوب، يجتمعون لتحديد مسار حالهم في العام المقبل، وحال دعوة الإسلام واتخاذ القرارات. فهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه يبلغ قرارات الرسول ﷺ (رئيس الدولة) روى عن زيد بن يثيع قال:سألنا علياً: بأي شئ بعثت في الحجة؟ قال: بعثتُ بأربع: أن لا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فإلى مدته، ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، وأن لا يحج بعد العام مشرك.

إن الحج رحلة للوقوف أمام مسؤلياتنا كأفراد وجماعات لنحدد أين نقف من دولة الإسلام التي كانت الأساس في ميلاد المجتمع المسلم، وقيام الحضارة التي فاقت كل الحضارات، كيف قاد أوائلنا العالم ونشروا الدعوة، وكيف كان الجهاد والهجرة والبيعة ومحاسبة الحكام وإبرام المعاهدات، ومعاملة الكفار وأهل الذمة وتحقيق الانتصارات، وتحمل المسؤولية في تبليغ العالم، وحفظ الدولة، وحفظ الدين. وتجمع المسلمين في الحج يقتضي أن تتجلى فيه وحدة المسلمين بكل معانيها بإحياء الحج كمنطلق للتخطيط العالمي للدعوة الإسلامية. وينبغي أن يكون الحج مكاناً لعرض أحوال ومشاكل المسلمين من مختلف البلاد، وأحوال نشر الدعوة الإسلامية في هذه المناسبة العالمية، فينبغي أن يطلع الناس على أحوال إخوتهم المسلمين في كل مكان، ويجب على أمير الحج أن يركز على مسؤولية المسلمين تجاه تطبيق دين الله كاملاً.

إن ما جاء في خطبة رسول الله في يوم الحج الأكبر كانت شاملة لأحكام الإسلام بدءاً بإقامة حكم الله في الأرض وقد أقرت أن أمة الإسلام أمة واحدة لها رب واحد ودين واحد ونبي واحد وأمير واحد. وحدد فيها أن المرجع الذي يكفل لأمة الإسلام أن تبقى خير أمة وشاهدة على الناس هو الاعتصام بكتاب الله. وحذر المسلمين بقوله: لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض. فقد حرمت الدماء والأعراض والخصومات بين المسلمين. إنها خطبة دعا فيها صلى الله عليه وسلم للحفاظ على دولة الإسلام وحماية أرواح المسلمين وإقامة عقوبات القصاص وتحريم الربا. إنها خطبة جمعت أمهات الأحكام وأعلاها، والتي بها يكون قيام الدين وحفظ دولته.❑

مع رحلة للحج زمن الخلافة العثمانية

لقد سار الخلفاء من بعد الرسول ﷺ على نفس المنهاج في تعيين أمير للحج وجعله مؤتمراً إسلامياً كبيراً. ولنستعرض رحلة الحج زمن الدولة العثمانية حيث لم تكن وسائط النقل الآلية مؤمنة (براً وبحراً وجواً)، كانت بلاد الشام بموقعها الجغرافي مركز تجمع للحجاج المسلمين القادمين من العرب والفرس والأكراد والتركمان والهنود واليزبك والجرجانيين والشركس والألبان والبيشناق والأفغان، وبعض أبناء جنوب شرق آسيا الذين يأتون براً. وسائر البلدان الإسلامية الشرقية، نظراً لأن الطريق البري بين دمشق والحجاز هي الأقصر لقوافل الحجاج المتوجهين لأداء فريضة الحج، وكذلك للقوافل والرحلات التجارية منذ القديم وقبل الإسلام.

كان الإعداد والتحضير لمحمل الحج يبدأ قبل موسم الحج بثلاثة أشهر، وكانت الدولة العثمانية وعلى رأسها السلطان العثماني (خليفة المسلمين) تهتم به اهتماماً زائداً وتوليه عناية فائقة. ويكلف الباب العالي لجنة مخصوصة رفيعة المستوى ترتبط مباشرة بالصدر الأعظم «رئيس الوزراء» مهمتها متابعة أمور المحامل في الأقاليم الإسلامية والإيعاز لولاة البلدان والأمصار بتلبية طلبات واحتياجات المحامل وتوفير الأمان لها وتسهيل أمور القائمين عليها؛ لأن هيبتها من هيبة الدولة.

وتبدأ أمهات المدن الإسلامية مثل القاهرة وبغداد ودمشق بالتحضير والتجهيز لمحاملها، فيعين الوالي أمير الحج من رجاله المشهود لهم بالكفاءة والتقوى، ومن ثم يبدأ أمير الحج باختيار أعوانه ورجاله مثل قاضي المحمل وقائد سرية الحراسة وأمين الصرة «صرة أميني» ورئيس الكتبة «باش كاتب» ورئيس الميرة والتموين ومسؤول الحملة «الحملدار» وهو المسؤول عن الطباخين والعمال، ويتم اختيار مسؤول البيارق والطبول «البيرقدار» وحامل العلم هو «البيرقجي». ومن ثم يقوم أمير الحج «باشا الحج» بعرض الأسماء على الوالي للموافقة. «ثم تبدأ مراسم الحج في اليوم الأول لعيد الفطر في دمشق، ويبدأ العمل بإخراج السنجق، وهو عبارة عن قطعة من القماش المتين، وقد كتب عليه بالخيوط الذهبية الآيات القرآنية، حيث يوضع في مكان تجمع الحجاج وتبدأ «مراسم الزيت والشمع والمحمل» التي تجمع لنقلها لمكة والمدينة، حيث تصطف الفرق العسكرية أمام المسجد الأموي،

وتؤدي التحية لوالي المدينة وقائدها العسكري، وبعض كبار الموظفين، وبعد الانتهاء تجري حفلة إخراج الشموع والزيوت المهيأة لإرسالها مع موكب الحج إلى الحرمين الشريفين. انطلاقاً من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أمر بإرسال الزيت لبيوت الله.

وفي «يوم الزيت» وهو الثاني من شوال كل عام، يتم الاحتفال بنقل الزيت إلى المستودع الخاص بأدوات محمل الحج.

وفي اليوم الثالث من شوال (يوم الشمع) فينقل الشمع وماء الورد لإهدائه إلى الحرمين، وفي يوم السنجق، يُخرج السنجق الشريف «الراية» أو «اللواء» وينقل باحتفال مهيب إلى دائرة المشيرية ليستقبله المشير ويضعه في قصره.

أما اليوم الرابع من هذه المراسم، فهو (يوم المحمل)، حيث يخرج موكب الحج الشريف مع المحمل والسنجق إلى وسط دمشق استعداداً للرحيل، حيث يوضع (المحمل) على ظهر جملٍ جميل الشكل قوي وعال لا يستخدم لأي عمل سوى الحج، ويحمل إضافة للمحمل الكسوة السلطانية إلى الكعبة الشريفة، ثم يتوافد الحجيج على مكان المحمل ويشتري كل حاج جملاً أو أكثر إضافة إلى جمال الدولة التي تعاقدت على شرائها لرجالها ولجندها المرافقين لمحمل الحج.حيث تسير قافلة أمير الحج في طريقها إلى مدينة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وفي اليوم الثالث تشترك الحكومة المحلية بصورة رسمية، فيحضر المشير والوالي وكبار الضباط والعلماء والموظفين ومشايخ الطرق وقطاعات مختلفة من الجيش والمدارس بأجمعها وذلك لوداع المحمل الشريف، وينطلق هذا الموكب مع السنجق في احتفال كبير.

أما الكسوة الشريفة فقد كانت تصنع من قِبل صنّاع مهرة يقيمون بدمشق ويتقاضون رواتبهم من الدولة، وكانت الدولة العثمانية تتحمل نفقات الحج، وتعهد بإمارته لواحد من كبار رجال الدولة، ويهيئ هذا الأمير للخروج بالحج، قبل حلول الموسم بثلاثة أشهر، فيقوم بجمع المال اللازم والتخطيط للرحلة للمحافظة على الحجاج ويرعاهم، وكان كبار رجال الدولة في مختلف أنحاء الدولة العثمانية يتوقون إلى هذا اللقب.لإدراكهم أهمية المنصب وقيمة ركن الحج.

وتتكون قوافل الحج الشامي من عدة فئات تقوم بخدمة الحجاج والسهر على راحتهم وحمايتهم، ولكل من هذه الفئات وظائفها: فالسقاة، كانوا يحملون القرب لنقل المياه من البرك والآبار إلى الحجيج. والبّراكون، هم أصحاب الدواب التي تنقل الحجاج وتكون من البغال والبراذين. والعكّامة وهم أصحاب الجمال والهوادج التي تنقل

الحجاج أيضاً، وأصحاب المشاعل، وهم حملة القناديل ومشاعل الزيت، وطائفة أصحاب الخيم، ولكل هؤلاء رؤساء ومعاونون كثيرون، مهيؤون لتأمين راحة الحجاج، والجنود يسهرون ويحرسون.

كان أمير الحج يخرج على رأس موكب الحج بين ١٥-١٧ شوال، ويتخذ أسهل الطرق: فتلتقي قافلة الحج الشامي من الطريق ثم يتلوها قافلة الحج الحلبي، ومعهم حجاج المسلمين العجم، وكانت رحلة الحج الشامي تستغرق أربعة أشهر من شوال حتى صفر.

أما الجردة فتختار الدولة العثمانية أحد وزرائها أو أحد ولاتها ويدعى «سردار الجردة» لإعداد قافلة الجردة، وهي قافلة مؤن تُعد لإسعاف الحجاج في طريق عودتهم إلى بلاد الشام خشية أن يكون ما عندهم منها قد نفد. والجوخدار: هو أحد رجال أمير الحج ويُعرف بالجوقدار يسبق قوافل الحجاج إلى دمشق ليبشر أهلها بسلامة القافلة إذا عادت سالمة، وهو ينفصل عن الركب في تبوك باتجاه دمشق في حراسة بعض الجنود متقدماً القافلة بسبعة أيام. وفي إثر الجوخدار يكون الكَتّاب - وهو شخص يكلفه أمير الحج - ليحمل كتب الحجاج إلى ذويهم فيصل إلى دمشق بعد الجوخدار بثلاثة أيام وقد يكون لدمشق.

بعد انتهاء مناسك الحج، يتجمع الحجاج في المدينة المنوّرة حول المحمل والسنجق ويعودون في نفس الموكب الذي ذهبوا به، وحين يقارب وصولهم إلى دمشق، تستعد الحكومة والأهالي لاستقبالهم باحتفالات كبرى.

وفي العودة، يكون مع القافلة رجل يُدعى «أمين الصر»، والصر هو المال الذي ترسله الدولة العثمانية للولايات ولأشراف الحجاز ولرؤساء القبائل المرابطة في طريق الحج وبعض الهدايا التي كانت توزع على فقراء المسلمين بين الحرمين، ويحوي هذا الصر مختلف المتاع من أحذية ومحارم، وهي مناديل قطنية أو حريرية كان بعضها يصنع في دمشق أو تحضر من إستانبول، والعُقل، والعباءات والجوارب.

أما الدولة فتعين يوماً لاستقبال موكب الحج، يأتي فيه الناس مهللين مكبرين، فيصطفون على جوانب الطرق، وتطلق مدفعية قلعة دمشق عند وصول الموكب عشرين طلقة متقطعة، وتقام الاحتفالات باستقبال الحجاج. وبعد نزول الحاج عن هودجه ويقولون له بعد التهليل والتكبير: «حجاً مبروراً، وسعياً مشكوراً وتجارة لن تبور».

وقد كانت الدولة العثمانية حريصة على راحة الحجاج، فأنشأت الخط الحديدي الحجازي حيث وصل أول قطار إلى محطة المدينة المنورة قادماً من دمشق في الثاني والعشرين من شهر أغسطس سنة ١٩٠٨ ميلادية في رحلة استغرقت

زهاء خمس وخمسين ساعة. في زمن السلطان عبد الحميد الثاني كان إنشاء الخط الحديدي الحجازي الذي يصل دمشق بالمدينة المنورة عملاً مهماً لخدمة الحجاج المسلمين وتسهيل التنقل بين بلاد الشام والحجاز.

وقد أعلن السلطان عبد الحميد عن المشروع من دمشق إلى المدينة المنورة في أوائل أبريل من عام ١٩٠٠م، بالإضافة إلى خط برقي يمتد بمحاذاته، وأقام دعاية واسعة له في العالم من حيث إنه كان بإضافة لهذا الهدف الديني كانت هناك أهداف أخرى هي تسهيل سفر الحجاج وتأمين راحتهم بربط البلاد الإسلامية بطريق حيوي وسهل، وإزالة مظهر الدولة العثمانية بمظهر العاجز أمام الدول الأجنبية. وتشديد قبضة السلطان عبد الحميد على الولايات التي يمر بها الخط وجعلها تحت السيطرة بأسرع وقت. وتعمير وتطوير المناطق الواقعة في مسار الخط وتطوير الزراعة وتنشيط اقتصاد الجزيرة العربية باتصالها ببلاد الشام وساحل البحر الأبيض المتوسط. ومساعدة التجمعات السكانية والقبائل الواقعة على مسار الخط.

ويذكر أنه بعد الإعلان عن المشروع وأهدافه، افتتح السلطان عبد الحميد الثاني الاكتتابات حيث تبرع بثلاثمائة وعشرين ألف ليرة عثمانية ذهبية. وتبرع شاه إيران بمبلغ خمسين ألفاً. وخديو مصر بكميات هائلة من الأخشاب ومواد البناء. وتشكلت جمعيات عديدة لمساندة المشروع، ففي الهند تشكلت مائة وست وستون جمعية لمساندته وجمع التبرعات له. وقد أرسل أهالي مدينة لكناو مبلغ اثنين وثلاثين ألف ليرة عثمانية، وأهالي رانجون ومدراس مبلغ ثلاثة وسبعين ألف ليرة. وأرسل الميرزا علي من كلكوتا مبلغ خمسة آلاف ليرة، ومثله جريدة الوطن في لاهور. ثم أعلن السلطان عن منح أوسمة وشارات وألقاب لمن يتبرع للخط. وتبرع الموظفون براتب شهر كامل من راتبهم، وأحدثت الطوابع التذكارية له. وجمعت جلود الأضاحي وبيعت لمصلحة الخط، كما أوقفت عليه أراض ومشروعات أهمها ينابيع الحمة المعدنية ومرفأ حيفا. وقد نجح المشروع نجاحاً كبيراً لم يكن أشد المتفائلين يتوقعونه، ولولا تبدل الأوضاع السياسية، وخاصة خلع السلطان عبد الحميد الثاني لوصل الخط إلى مكة المكرمة وينبع وجدة واليمن كما خطط المشرفون عليه آنذاك.

وبدأ العمل في الخط في شهر سبتمبر من عام ١٩٠٠م، أي بعد الإعلان عنه بنحو ستة أشهر وذلك في القسمين: دمشق درعا و درعا مزيريب في آنٍ واحد. واستغرقت أعمال الإنشاء لكامل الخط حوالى سبع سنوات إلى عام ١٩٠٨م حيث تم إنجازه إلى المدينة المنورة فقط، وكان

من المُقرر أن يصل إلى مكة المكرمة. وفي المرحلة الثانية عن طريق جدة، ثم إلى عدن في اليمن كمرحلة ثالثة.

إلا أن هذه الفكرة تم صرف النظر عنها، وبقيت المواد اللازمة لإنشاء المرحلتين الثانية والثالثة في مستودعات المدينة المنورة حتى عام ١٩١٦م، واستخدمت فيما بعد لصيانة الخط ولتمديد خط فلسطين مصر الذي أنجزته الحكومة البريطانية. وعند نشوب الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م استخدمت الدولة العثمانية هذا الخط في تنقلات جيوشها وعتادها الحربي، مما دعا الثورة العربية العميلة ضد الحكم العثماني، والتي شارك فيها الكولونيل لورنس الإنجليزي مع «الشريف حسين» إلى تدمير معظم أقسام الخط، وخاصةً في الأراضي الحجازية.

هكذا كان الحج زمن الخلفاء يرعونه حق رعايته، ويهتمون به أيما اهتمام ويعدونه اجتماعاً سياسياً كبيراً بالإضافه لمكانته الدينية.

فلنعد للحج مكانته الجماعية وعدم حصره بالتكاليف الفردية التي يريدها حكام الجور ومن خلفهم الاستعمار. فالظروف مهيأة، وتحرك الأمة له نتائج ممتازة حيث بدأت الأمة تلغي من قاموسها لغة الخوف والتهميش والإقصاء والتبعية. وهدمت بيديها حاجز الخوف الوهمي الذي كبلها لسنوات، وبدأت تنهي مرحلة الحكم الجبري. إن هذه الأمة التي تعتصم بحبل الله وتقف في وجه كل من يريد إقصاء إسلامها لهي أمة حية بعقيدتها الحية التي تجعل المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضهم بعضاً بمشاعر واحدة، وتجعله يقف موقفاً أصيلاً ضم جميع المسلمين تجسيداً للحديث الذي وصف المسلمين أنهم في توادهم وتراحمهم وتضامنهم كالجسد الواحد رغم محاولات الغرب الكافر وعملائه، الذي لا يزال يجند الإعلام والمفكرين والمثقفين ممن تستهويهم بضاعة الغرب، من الذين لا يبصرون الحل إلا منبثقاً من عقيدة فصل الدين عن السياسة، فتراهم يترجمون هذا الحراك السياسي للأمة على أنه التوجه نحو الديمقراطية والدولة المدنية والمزيد من الحريات، بينما هو في الواقع ترجمة لتطلعات الأمة النابعة من عقيدتها الإسلامية الغراء

وما الثورات إلا الخطوة الأولى إن شاء الله تعالى نحو نهضة الأمة وعودتها كما كانت شاهدة على الناس بأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر ونشر دعوة الله. هذه الخطوة هي إشارة عملية نحو العمل الصحيح لوضع إطار صحيح لعملها نحو استئناف حياة إسلامية بإقامة دولة الإسلام. قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ ❑

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾

جاء في كتاب التيسير في أصول التفسير لمؤلفه

عطاء بن خليل أبو الرشته

أمير حزب التحرير حفظه الله في تفسيره لهذه الآيات ما يلي:

بيّن الله في هذه الآيات مزيداً من نعمه على موسى وقومه حينذاك:

١. فقد أعلمهم موسى – عليه السلام – بأمر ربه أن توبتهم إلى الله هي أن يقتلوا أنفسهم جزاء فعلتهم تلك لاتخاذهم العجل إلهاً، وأنَّ هذا إن فعلتموه خيرٌ لكم عند بارئكم أي خالقكم، فهو خيرٌ لكم لأنكم تنجون بذلك من عقاب الله في الآخرة على ذنبكم، ويكون لكم الثواب منه سبحانه وإن لم تفعلوا فهو شرٌّ لكم، كلّ ذلك لأنهم قد كفروا باتخاذهم العجل واستوجبوا العذاب العظيم.

والآية تدلّ على أنهم فعلوا ذلك فأوقعوا القتل في أنفسهم حتى تاب الله عليهم، وذلك من

دلالة خاتمة الآية ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ بعد أن ذكر الله ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي أن توبتكم هي قتل أنفسكم، وحيث إنَّ الله أخبرنا بعدها بأنه تاب عليهم فهذا يعني أنهم أوقعوا القتل في أنفسهم ومن ثمّ تاب الله عليهم.

٢. ثم ذكّرهم الله سبحانه بنعمة أخرى على أسلافهم من قوم موسى – عليه السلام – عندما قالوا لنبيهم موسى – عليه السلام – لن نصدق بما جئتنا من عند الله حتى نرى الله جهرةً أي عياناً علانيةً، فصعقوا حينها وماتوا ثم بعثهم الله سبحانه من بعد موتهم لعلهم يشكرون.

وقوله سبحانه ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ يعني أن الأمر الهائل الذي أهلككم رأيتموه رأي العين وهو نازلٌ بكم. وأصل الصاعقة الأمر الهائل الذي يؤدي بالمراد إلى الهلاك أو نحو الهلاك، غير أن ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ قرينةٌ على أن الصاعقة هنا أهلكتهم هلاكاً محتماً أي موتاً حقيقياً.

٣. كذلك فإن الله سبحانه قد سخّر لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ وأنزل عليهم نوعين من الأكل طيبين ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ ليأكلوا من طيبات ما رزقهم الله ويشكروه على نعمه ولكنهم بدلاً من ذلك كفروا تلك النعم ووضعوا كفر النعم محلّ شكر النعم فظلموا، والظلم يرتب ضرراً فهم لو شكروا النعم لأثابهم الله سبحانه ولكنهم كفروا فاستحقوا العقاب، وهذا ضررٌ واقع عليهم فهم يستحقونه، ولذلك فإن ظلمهم واقعٌ بهم، فقد أضروا أنفسهم ولم يضروا الله شيئاً بظلمهم، وهذا معنى قول الله سبحانه ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

٤. ثم هم قد ظلموا أنفسهم مرةً أخرى، فبدل أن ينفذوا أمر الله بدخولهم القرية التي بينها الله لهم وأن يأكلوا من طعامها وثمرها أكلاً هنيئاً طيباً واسعاً ﴿رَغَدًا﴾، وفي ذلك دلالة إشارةٍ على سكناها كما في الآية الأخرى ﴿ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ الأعراف/آية ١٦١، وأن يسجدوا لله شكراً عندما يدخلوا باب تلك القرية ويقولوا عند دخولهم ﴿حِطَّةٌ﴾ أي يضرعون إلى الله أن ييسر لهم دخولها وأن يحط عنهم خطاياهم، ولعل ذلك الباب هو المسمى باب حطّة من أبواب بيت المقدس، غير أنهم بدلاً من امتثالهم أمر الله فيدخلوا القرية ويأكلوا رغداً ويدخلوا الباب سجداً ويقولوا حطةٌ غيروا ذلك وحرفوه واستهزأوا بما قيل لهم، فظلموا وفسقوا فأذاقهم الله بذلك عذاباً أليماً.

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "**قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطةٌ، فدخلوا يزحفون على أستاهم فبدلوا وقالوا حطة حبة في شعيرة**»❑

بسم الله الرحمن الرحيم

دعوته ﷺ لأفراد من المشركين ممن لم يسلم:

دعوته ﷺ للوليد بن المغيرة:

أخرج إسحاق بن راهَوَيْه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنه رَقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عمّ، إنَّ قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً، قال: لِمَ؟ قال: ليعطوكَهُ، فإنَّك أتيت محمداً لتعرِضَ ما قِبَلَه، قال: قد عَلِمت قريش أني من أكثرها مالاً. قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنَّك مُنكر له، قال: وماذا أقول؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إنَّ لقوله الذي يقول حلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة، وإنَّه لمثمرٌ أعلاه، مُغْدِقٌ أسفله، وإنه لَيَعلُو ولا يُعلى، وإنه ليحطِم ما تحته. قال: لا رضي عنك قومك حتى تقول فيه، قال: قف عني حتى أفكر فيه، فلما فكَّر قال: إنْ هذا إلا سحر يُؤثر، يأثره عن غيره، فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾﴾.

وأخرج ابن عساكر عن معاوية قال: خرج أبو سفيان إلى بادية له مردفاً هنداً، وخرجت أسير أمامهما وأنا غلام على حمارة لي إذ سمعنا رسول الله ﷺ فقال أبو سفيان: أنزل يا معاوية حتى يركب محمد، فنزلت عن الحمارة وركبها رسول الله ﷺ فسار أمامنا هنيهة، ثم التفت إلينا فقال: «يا أبا سفيان بن حرب، ويا هند بنت عُتبة، والله لتموتنَّ ثم لتبعثنَّ، ثم ليدخلنَّ المحسن الجنة والمسيء النار، وأنا أقول لكم بحقَ وإنَّكم لأولُ من أُنذرتم»، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ حتى بلغ ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾، فقال له أبو سفيان: أفَرَغْت يا محمد؟ قال: نعم، ونزل رسول الله ﷺ عن الحمارة وركبتها، وأقبلت هند على أبي سفيان فقالت: ألهذا الساحر أنزلتَ ابني؟ قال: لا والله ما هو بساحر، ولا كذَّاب. ❑

الأسود بن يزيد وقصته في الحياء من الله

قَالَ عَلْقَمَةُ بْنُ مَرْثَد: انْتَهَى الزُّهْدُ إِلَى ثَمَانِيَة مِنَ التَّابِعِينَ مِنْهُمُ : الأَسْوَدُ بْنُ يَزِيدَ ، كَانَ مُجْتَهِدًا فِي الْعِبَادَة ، يَصُومُ حَتَّى يَخْضَرَّ جَسَدُهُ وَيَصْفَرَّ .وَكَانَ عَلْقَمَةُ بْنُ قَيْسٍ يَقُولُ لَهُ: لِمَ تُعَذِّبُ هَذَا الْجَسَدَ هَذَا الْعَذَابَ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ الْأَمْرَ جِدٌّ، وَكَرَامَةَ هَذَا الْجَسَدِ أُرِيدُ، فَلَمَّا احْتُضِرَ بَكَى، فَقِيلَ لَهُ: مَا هَذَا الْجَزَعُ؟ فَقَالَ: وَمَالِي لَا أَجْزَعُ، وَمَنْ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنِّي؟ وَاللَّهِ لَوْ أُتِيتُ بِالْمَغْفِرَةِ مِنَ اللَّهِ لَهَمَّنِي الْحَيَاءُ مِنْهُ مِمَّا صَنَعْتُ، إِنَّ الرَّجُلَ يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّجُلِ الذَّنْبُ الْعَظِيمُ، فَيَعْفُو، فَلَا يَزَالُ مُسْتَحْيِيًا مِنْهُ حَتَّى يَمُوتَ.

صفوان بن سليم:

أ- قصته مع سليمان بن عبد الملك والخوف من عطايا الأمراء: قدم سليمان بن عبد الملك المدينة وعمر بن عبد العزيز عامله عليها. قال: فصلى بالناس الظهر ثم فتح باب المقصورة واستند إلى المحراب واستقبل الناس بوجهه، فنظر إلى صفوان بن سليم عن غير معرفة فقال: يا عمر، من هذا الرجل، ما رأيت سمتاً أحسن منه؟ قال: يا أمير المؤمنين هذا صفوان بن سليم. قال: يا غلام، كيس فيه خمسمائة دينار. فأُتي بكيس فيه خمسمائة دينار، فقال لخادمه: ترى هذا الرجل القائم يصلي فوصفه للغلام حتى أثبته، فخرج الغلام بالكيس حتى جلس إلى صفوان، فلما نظر إليه صفوان ركع وسجد ثم سلم وأقبل عليه فقال: ما حاجتك؟ قال: أمرني أمير المؤمنين، وهو ذا ينظر إليك وإليَّ، أن أدفع هذا الكيس وفيه خمسمائة دينار إليك، وهو يقول: استعنْ بهذا على زمانك وعلى عيالك. فقال صفوان للغلام: ليس أنا بالذي أُرسلتَ إليه. فقال له الغلام: ألست صفوان بن سليم؟ قال: بلى أنا صفوان بن سليم. قال: فإليك أُرسلت. قال: اذهب فاستثبت فإذا أثبتَّ فهلم. فقال الغلام: فامسك الكيس معك واذهب. قال: لا، إذا أمسكت كنت قد أخذت، ولكن اذهب فاستثبت فأنا ها هنا جالس. فولَّى الغلام، فأخذ صفوان نعليه وخرج، فلم يُرَ بها حتى خرج سليمان من المدينة.

ب- قصته مع هارون الرشيد وجرأته في المحاسبة:

حج هارون الرشيد فقال إنسان لصفوان: يا أبا عبد الرحمن، هو ذا أمير المؤمنين

يسعى، وقد أخلي له المسعى، قال العمري للرجال لا جزاك الله عني خيراً، كلفتني أمراً كنت عنه غنياً ثم تعلق نعليه وقام فتبعته وأقبل هارون الرشيد من المروة يريد الصفا فصاح به: يا هارون، فلما نظر إليه قال: لبيك يا عم، قال: ارقَ الصفا، فلما رقيه قال: ارم بطرفك إلى البيت.

قال: قد فعلت. قال: كم هم؟ قال: ومن يحصيهم؟! قال: فكم في الناس مثلهم؟ قال: خلق لا يحصيهم إلا الله. قال: اعلم أيها الرجل أن كل واحد منهم يسأل عن خاصة نفسه، وأنت وحدك تسال عنهم كلهم، فانظر كيف تكون، قال فبكى هارون وجلس وجعلوا يعطونه منديلاً للدموع. قال العمري: أو أخرى أقولها؟ قال: قل يا عم. قال: والله، إن الرجل ليسرف في ماله فيستحق الحجر عليه، فكيف بمن يسرف في مال المسلمين؟ ثم مضى وهارون يبكي.

قال محمد بن خلف سمعت محمد بن عبد الرحمن يقول: بلغني أن هارون الرشيد قال إني لأحب أن أحج كل سنة، ما يمنعني إلا رجل من ولد عمر، ثم يُسمعني ما أكره.

وقد روي لنا من طريق آخر أنه لقيه في المسعى، فأخذ بلجام دابته، فأهوت إليه الأجناد، فكفَّهم عنه الرشيد، فكلمه فإذا دموع الرشيد تسيل على معرفة دابته ثم انصرف، وأنه لقيه مرة فقال: يا هارون فعلت وفعلت، فجعل يسمع منه ويقول مقبول منك يا عم على الرأس والعين. فقال يا أمير المؤمنين من حال الناس كيت وكيت، فقال عن غير علمي وأمري.

ج- قصته مع أبي جعفر وجرأته في خطابه:

وعن أحمد بن عمرو بن المقدام الرازي قال وقع الذباب على المنصور فذبَّه عنه فعاد، فذبَّه حتى أضجره، فدخل جعفر بن محمد فقال له المنصور: يا أبا عبد الله، لمَ خلق الله عز وجل الذباب؟ قال: ليذل به الجبابرة.

حج أبو جعفر فدعا ابن أبي ذئب فقال: نشدتك بالله ألست أعمل بالحق؟ أليس تراني أعدل؟ فقال ابن أبي ذئب: أما إذا نشدتني بالله فأقول: اللهم لا، ما أراك تعدل، وإنك لجائر، وإنك لتستعمل الظلمة وتدع أهل الخير.

فقال من حضر: فظننا أن أبا جعفر سيعالجه، فجعلنا نكفُ إلينا ثيابنا مخافة أن يصيبنا من دمه، فجزع أبو جعفر واغتمَّ وقال له: قم فاخرج.❑

نصيحة للبنديكتوس حول الإسلام والصراع الدائر في سوريا

في سياق زيارة بابا روما (البنديكتوس السادس عشر) للبنان سبتمبر ٢٠١٢م، سطر الكاتب السوري المعروف ميشيل كيلو رسالة نصيحة مطولة للبنديكتوس، نشرتها جريدة السفير اللبنانية، طالبه فيها بأن يحمل رسالة رحمة لمسيحيي الشرق في ظل أجواء الفتن المحمومة المتفشية راجياً إياه «أن لا يسهم ولا يوافق على هدم الهيكل فوق رؤوس المسيحيين العرب»، مؤكداً على حقائق تمنى أن يتوقف البنديكتوس أمامها حول حقيقةموقف الإسلام من المسيحية والمسيحيين، وحول طبيعة الصراع القائم في سوريا، نورد أهمها باختصار:

- أنا سوري وعربي و... مسيحي، مواطن ينتمي إلى منطقة عرفت خلال تاريخها الطويل والمتقلب كيف تجعل مكوناتها البشرية والدينية والثقافية والسياسية تتعايش بعضها مع بعض. صحيح أنها لم تعرف نظرية التسامح، لكنها عاشت التسامح نفسه ومارسته قبل أن يضع «جون لوك» كتابه بمئات السنين.

- إن الإسلام آخر الأديان السماوية الذي يرى في رسالته صحيحة كل الأديان السابقة له، لذلك تراه يكن لها أصدق الاحترام. ويكفي أن تقرأ ما يقوله القرآن عن المسيح، «روح الله»، وأمه مريم العذراء، «أطهر نساء العالمين»، حتى ترى الفارق بين نصه وأي نص آخر كتب عنهما في أي تاريخ. ويكفي أن تذكر اسم المسيح أمام أي مسلم حتى يسميه بخشوع: «سيدنا عيسى عليه السلام»، واسم أمه حتى يقول بإجلال (سيدتنا) مريم البتول عليها السلام.

- إن المسيحية تعيش في هذا الشرق: موطنها الأصلي، منذ نيف وألفي عام مع أديان ورسالات أهمها الإسلام، الذي لم يأت كي يلغي ما قبله، بل ليستوعب صحيحه ويجعله جزءاً تكوينياً منه: لذلك ترانا، مسلمين بهذا البعد الروحي والفكري العميق. وقد احترموا وجودنا التاريخي بينهم، مع أن دينهم تبشيري، وتذكروا دوماً أن رحمة الله تلزم المسلمين بالرحمة تجاه مخلوقاته. صحيح أن الأمر لم يكن دوماً على هذه الصورة، لكنه كان هكذا أو قريباً منه في القسم الأعظم من التاريخ.

- ظلت المسيحية في الشرق قائمة بعد الحروب الصليبية، التي أسماها المسلمون حروب الفرنجة كي لا يدنس ذكرها اسم الصليب؟ وقد حمى المسلمون المسيحية والمسيحيين بعد هزيمة الفرنجة الساحقة على يد جيوش مسلمة شارك المسيحيون فيها؟ أقول بكل صراحة: إن انتماءهم إلى المسلمين وانتماء هؤلاء إليهم هو الذي حماهم: فقد فتح مسيحيو المدن السورية أبواب مدنهم أمام جيش أبناء عمومتهم المسلمين، كي يزيحوا عن كاهلهم عبء مسيحيي بيزنطة الروم؟ ثم، ألم يصرخ مقاتل مسيحي في جيش المسلمين خلال معركة القادسية: قتلتُ رستم ورب الكعبة، حين أردى قائد جيش الفرس؟

- هناك محاولات كثيرة لفصم هذه الشراكة التاريخية، تقوم بها جهات متنوعة تنتمي إلى الجانبين المسيحي والمسلم، فضلاً عن مؤسسات وتنظيمات متشددة متعصبة، بما فيها كنائس مسيحية متطرفة ترى المسلم بعين العدو الذي أجبرت على العيش مكرهة معه، ولا تراه بعين الشريك والقريب، الذي لطالما تفاعلت معه في رحاب رحمانية الله ورحمته. وهناك أحبار يعتبرون أنفسهم مقاتلين يخوضون معركة

متأخرة كان يجب أن تحسم منذ زمن طويل، هم اليوم طلائع ورواد فيها، يسعرون نارها التي تحرق المؤمنين من الجانبين، وتعانق النار التي يشعلها أمثالهم من المسلمين. والمشكلة أن هؤلاء يسندون ظهورهم إليكم ويخوضون معركتهم تحت رايات يزعمون أنكم ترفعونها بدوركم.

- لا بد من أن تتوجهوا بكلمات لا لبس فيها، تعيد هؤلاء إلى صوابهم، وتذكرهم أنه ليس هناك ولن يكون هناك حرب مسيحية إسلامية، وأن على المسيحية أن لا تدعم أية حرب ضد أي كان، وخاصة منها الحرب التي يشنها النظام السوري ضد شعبه باسم مكافحة الإرهاب، لطالما رعاه واحتضنه ودرب عناصره وتحالف مع قواه واستخدمها داخل سوريا وعلى مستوى المنطقة العربية والإسلامية، أو بأي اسم آخر.

- لا يخوض النظام السوري معركة الدفاع عن المسيحية، كي يحظى بتعاطف كنائس وكهنة مسيحيين، بل يقاتل دفاعاً عن استبداده وامتيازاته وقدرته على امتهان كرامة الإنسان، متذرعاً بعلمانية، هي في حقيقتها دين سلطة، يرغمك على عبادة قادته ورموزه، باعتبارهم آلهة سياسيين تفرضهم الشمولية، كآلهة تعبد على رعاياهم، الذين لا يجوز أن يشركوا بهم معهم، بما في ذلك الرحمن الرحيم، وإلا كانت الدبابات والمدافع والطائرات لهم بالمرصاد، وتعرضوا لعنف يحصد أرواحهم كل يوم، دون أن يترك متراً مربعاً واحداً خارج قبضته في طول سوريا وعرضها.

- لا يخوض النظام معركة الدفاع عن المسيحيين الذين لا يهددهم أي خطر أعظم من حماقة بعض كنائسهم وكهنتهم، التي وصلت إلى حد جعلهم يباركون قتل الأطفال والنساء والشيوخ وينظمون حفلات راقصة احتفالاً به، ويرون فيه حرباً إنقاذية على الإرهاب والتطرف، كأن العنف الرسمي المفتوح ليس إرهاباً وليس تطرفاً، أو كأن انتصار النظام يبرر قبول التضحية بإنسان واحد على يد نظام رفض ما قدم إليه من حلول سياسية كثيرة، واختار طريق العنف والإبادة الجماعية، فأيدته كنيسة تدعي انتماءها إلى يسوع الناصري، عدو العنف الأكبر في التاريخ الإنساني.

- أعد الكنيسة إلى رشدها، وذكرها بأن ما أبقى على المسيحية في المشرق بعد حروب الفرنجة، كان وقوف المسيحيين إلى جانب الحق، ومع أبناء عمومتهم ضد من أرادوا قهرهم، وأن كنيستهم تبدد اليوم رصيدهم التاريخي، وتضعهم أمام مجاهيل من المؤكد أنها ستكون شديدة الخطورة عليهم، إن هم انحازوا إلى نظم زائلة لا تعرف كيف تبقى في الحكم دون مدافع وطائرات ودبابات تدمر مدن وقرى بلادها المطالبة بالحرية.

- إن المسيحية المشرقية في خطر عظيم، ليس لأنها مهددة بالأصولية الإسلامية، بل لأنها تدار بيد أصولية مسيحية وعقليتها، يمارسها ويتبناها أحبار يقودون بعضها، تضع سياساتهم ومواقفهم اللاإنسانية واللاأخلاقية السكين على عنق يسوع الناصري، لأنها تضعها لأول مرة في التاريخ ضد أبناء عمومتها المظلومين، الذين لا ذنب لهم غير أنهم يحاولون إنقاذ أنفسهم من موت بطيء، مستعينين بالحرية، التي يعتبر فيلسوف من وزن هيغل أن المسيحية هي التي أدخلتها إلى التاريخ، وأنها إنجازها الأعظم والأبقى .

- ستكون زيارتك مهمة، بل إنها يمكن أن تمثل تحولاً في تاريخ المسيحية والإسلام، فلا تسهم ولا توافق على هدم الهيكل فوق رؤوس المسيحيين العرب، ومد يدك لأنقاذهم من حماقات تقترفها كنائسهم وأحبارهم، وإلا جاء يوم ندم ستقولون فيه: لم يصارحنا أحد بالحقائق، وستتساءلون ببراءة: لماذا سكتم على جريمة كان يرتكبها كهنة باسم يسوع الناصري، الذي أراد الهيكل نظيفاً وطاهراً، لكن هؤلاء كانوا يلوثونه بآثام ستتسبب في سفك دماء بشر افتداهم بحياته، بينما كان أحبارهم يسوقونهم إلى الهلاك!❑

جبهة علماء الأزهر: قاعدة (الضرورات تبيح المحظورات) للأفراد لا الحكومات

أكدت «جبهة علماء الأزهر»، أن قاعدة «الضرورات تبيح المحظورات» محكومة بشروط وضعها القرآن الكريم تقتصر على إباحة الحرام في حالات استثنائية للأفراد وليس الحكومات، وذلك رداً على إفتاء بعض العلماء بإباحة فوائد القروض من صندوق النقد الدولي وغيره استنادًا إلى تلك القاعدة، معتبرة الرأي القائل بجواز الفائدة لكونها عملة ورقية، بزعم أنه لا ربا في غير النقدين الذهب والفضة، اجتراء على دين الله.

كما اعتبرت الجبهة أن كل كلام يقدم المسألة على أنها قضية خلافية محتملة بين المسلمين جريمة، وأن ما يتحدث به البعض بأنه لا ربا في غير النقدين الذهب والفضة، وعليه فإن أوراق البنكنوت لا ربا فيها، وأن إصدار الدولة سندات على الخزينة بفائدة هي من باب المصالح المرسلة أو هي من باب الضرورات التي تبيحها المحظورات، اعتبرت كل ذلك «اجتراءً على دين الله»، إذ يعني ذلك- وكما تقول- إنه «لا زكاة في أوراق البنكنوت، ولا حدّ فيها إذا سُرقت، وأن استحلال الفروج بها واعتمادها مهراً عند النكاح أمر باطل يحيل العقود كلها التي عليها استحلت الفروج عقوداً باطلة».

وحول تطبيق قاعدة الضرورات تبيح المحظورات في مسألة القروض، قالت الجبهة إن تلك القاعدة لا تطبق على إطلاقها، لأن «الضرورة المقررة شرعاً في الأحكام الشرعية لاستحلال المحرم هي حكم استثنائي في حقوق الأفراد بشروطها المنصوص عليها في كتاب الله تعالى وليس إلى الحكومات الباغية العادية التي أكلت أموال الناس بالباطل من معاشات وتأمينات، وباعت الأصول، وخصصت الفروع لنفسها، وجعلت من أرض مصر وترابها غنيمة باردة لعملائها، ثم ذهبت وبذلت أموال البنوك للناهبين ثم تصالحت معهم، ثم باعت أحشاء مصر وأمعائها لعدو الله وعدوها، وأباحت المسكرات الأصيلة في التحريم- الخمور-، وحرمت المقيس عليها فقط من حشيش وغيره».

وأشارت إلى أن الضرورة لم تبح المحظور في شريعة الله إلا للإنسان عند اضطراره، عندما تتهدد حياته ويعاين الهلاك قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾، فتلك هي حالات الضرورة التي يباح عندها المحرم للفرد، وأن لا ضرورة في هذا السياق لحكومة أو دولة.

ولفتت إلى أن هناك فتوى للأزهر بتحريم الفوائد على القروض، وردت في قرار مجمع البحوث الإسلامية المنعقد بالقاهرة في الثاني عشر من المحرم ١٣٨٥هـ مايو ١٩٦٥م، بأن الفائدة على أنواع القروض كلها ربا محرم، لا فرق بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكي؛ وما يسمى بالقرض الإنتاجي، لأن نصوص الكتاب والسنة في مجموعها قاطعة في تحريم النوعين.وانتهى المجمع في فتواه تلك إلى أن "كثير الربا وقليله حرام كما يشير إلى ذلك الفهم الصحيح في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾.

وتوجهت الجبهة إلى أصحاب هذه الفتاوى محذرة إياهم من الإقامة على هذا الباطل، فقد فعله شيخ لهم من قبل- في إشارة إلى شيخ الأزهر الراحل الدكتور محمد سيد طنطاوي الذي أباح الفائدة على القروض- فلم يغنِ عنه ذلك من الله شيئاً، لا هو ولا من كانوا من المفتونين به، فإن شرّ أنواع الوعيد هو ما جاء في جريمة الربا ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ ❑